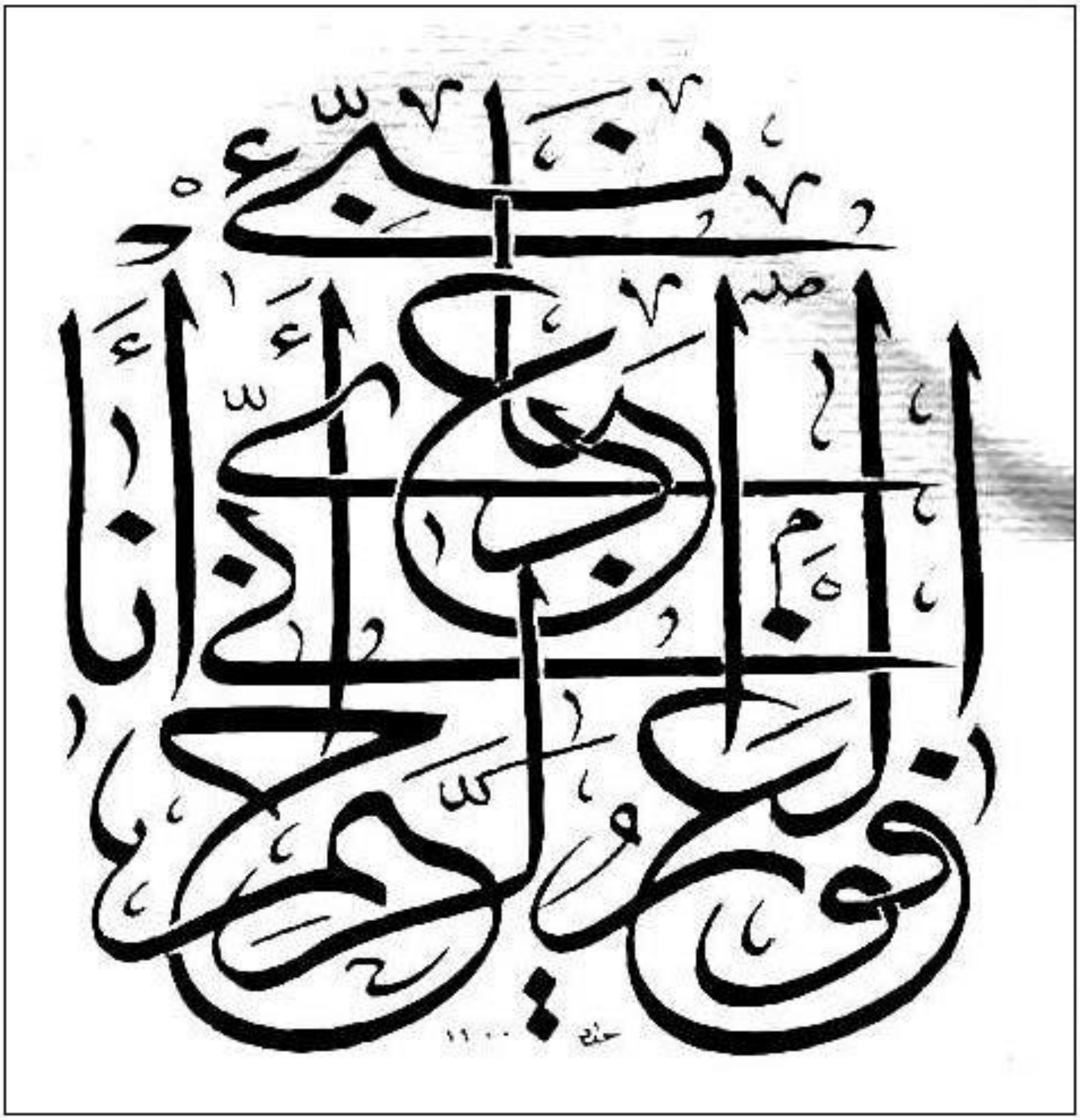
٦٢

بشريات المؤمن في الآخرة

العارف بالله تعالى

الشيخ فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة



دار الإيمان والحياة

تقدم هدية السرور والسعادة

للعارف بالله الشيخ فوزي محمد أبوزيد

بشريات المؤمن في الآخرة

الكتاب الثانى والستون من مؤلفات الشيخ المطبوعة

الإصدار الثامن من سلسلة { شفاء الصدور }، صدر منها :

١- مختصر مفاتح الفرج ٢- أوراد الأخيار (تخريجٌ وشرح)

٣- أذكار الأبرار ٤- علاجُ الرزاق لعلل الأرزاق ٥- بشائر المؤمن عند الموت

٦- أســــرار العبد الصالح وموســــى عليه السلام ٧- مختصر زاد الحاج والمعتمر

مقدمة و تمهيد (٣) (62📖)

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب	بشـــريات المؤمن فى الآخـــرة
المـــؤلف	العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيـــد
الطبعة الأولى	١٤ شـــوال ١٤٣١هـ، ٢٣ ســبتمبر ٢٠١٠م
ترتيب الكتـــاب	الثانى والســتون من مؤلفات الشـــيخ المطبوعة
الســلســلة	شـــرح الصـــدور، الكتـــاب الثامن
عـــدد صفحـــات	١٧٦ صفحـــة من القطع المتوســـط ١٥سم × ٢١سم
مواصـــفات داخلى	الطباعة لونان بنى داكن بخلفية ملونة بيج على ورق ٨٠ جم
مواصـــفات غلاف	٤ لون و سلوفان لميع على كوشـــيه لميع ٢٥٠جم
إعـــداد وإشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادى، القاهرة، ج م ع، ت: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠ ف: ٠٠٢٠-٢-٢٥٢٦١٦١٨
طبـــع	دار نوبار للطباعة بالمنطقة الصناعية بالعبور
إيـــداع محلى	٢٠١٠/١٧٦٦١
تـــرقيم دولى	ISBN:.977-17-9593-7

مقدمة

.بسم الله الرحمن الرحيم

... الحمد لله واسع الفضل والجود ..

الكريم الذي عطاؤه بغير حدود، المتفضل الذي وسع فضله كل الوجود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرحمة العظمى لكل موجود،

والنور الأعظم والسر المطلسم فى مقام شاهد ومشهود،

صلى الله عليه وآله الركّع السجود وأصحابه الموفون بالعهود،

وكل من تابعهم بخير إلى يوم الفضل والكرم والجود.

وبعد، ... فهذه وريقاتٌ سطَّرناها بما أملاه علينا اللهُ تشير إلى بعض فيض فضله تعالى على عباده يوم القيامة وفى الجنَّة إن شاء الله، تعظيماً لرغبة المؤمنين نحو فضل الله العظيم، وتحفيزاً لهم بما سردناه من بشريات أن يحبوا لقاء الله ليدخلوا فى البشرى التى أشار إليها رسول الله ﷺ فى قوله:

﴿ يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا ﴾ [1]

وقد دعانا إلى ذلك مع تحققنا الكامل بقول رسول الله ﷺ:

﴿ قَالَ اللهُ تعالى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴾ [2]

أننا وجدنا أن أحاديث جُلّ الدعاة، بل وكتبهم عن الموت والدار الآخرة .. تركِّز على التهويل والتخويف من رهبة الموت! وشدة أهوال وعذاب ذلك اليوم ... ولا تشير إلى البشريات الواردة إلا فى النّزر اليسير، وذلك بحجة أن الخلق فى حاجة إلى التخويف!! ليتركوا المعاصي والمخالفات ... ويقبلوا على العبادات والطاعات !!!.

وعندما رجعنا إلى الصفحات الناصعة فى دعوة رسول الله ﷺ وصحبه الكرام والسلف الصالح ﷺ أجمعين وجدنا نهجهم الإقتداء فى ذلك بهدى القرآن الكريم بالإكثار من اللوم والتقريع والتأنيب والتخويف للكافر والنافر والمصرّ على ارتكاب الكبائر ...

---

1 رواه البخارى عن أنس.
2 رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

أما المؤمن المطيع، والمسلم المستقيم فلهم البشريات بما أعدَّ الله لهم من رفيع الدرجات وعليّ المواجهات، وعظيم المقامات فصدق الله ﷻ إذ يقول للدعاة السابقين واللاحقين والمعاصرين، بل للمؤمنين أجمعين:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

فكان لزاما علينا وعلى كل داع إلى الله .. أن نبين لإخواننا المؤمنين بعض ما خصَّهم الله به من عطاءات، وما ادَّخره ﷻ لهم من هبات، وأن يوضّح الداعى لإخوانه خصوصية تعامل الله ﷻ مع عباده المؤمنين يوم الميقات، وأن يشير إلى بعض ما أعدَّه الله لهم من إكرام فى الجنات، فإن نفوس الأتقياء وأرواح السعداء تشتهى ذلك وتفرح عند سماعه ... ويدفعها ذلك إلى الإقبال على الله ﷻ بشوق ووجد ولهفة وحنان رغبة فى لقاءه أولاً، ورغبة فى نعيمه فى دار بقاءه ثانياً، قال تعالى فى [28،الكهف].:

﴿ يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ﴾

أسأل الله ﷻ وهو خير من سأل ....

أن ينفع به كل من قرأه ...

وأن يرفع به كل من شارك فى تجهيزه أو طبعه أو نشره.

وصلى الله على باب سرّه ولباب حبّه سيدنا محمد وآله وصحبه.

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [286،البقرة]

الجميزة – غربية

فى يوم الاثنين ... الثلاثون من رجب 1431هـ

الموافق للثانى عشر من يوليو 2010م

فوزى محمد أبوزيد

بريد : الجميزة - محافظة الغربية – جمهورية مصر العربية

الموقع على شبكة المعلومات: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريـــــد الإليكتروني E-mail:fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com

تمهيد

يسألونك عن الساعة!

تساؤلٌ ... !!!!!

يسأله قومٌ كثيرون لسيدنا رسول الله ﷺ عن قضية لا نزاع فيها، سيحضر فيها الخلق أجمعون، الأولون والآخرون، السابقون والمعاصرون والمتأخرون، الكُلُّ سيجتمعون فى هذا الوقت المعلوم، وهذا الزمن المحتوم، فى ساعةٍ حدَّدها وعلمها الحيُّ القيوم ﷻ.

علم الخلق جميعاً علماً يقيناً أنهم سيموتون، وعلم جميع الخلق جميعاً أنهم سيبعثون ويحاسبون، ويُساءلون ويثابون أو يعاقبون ...

ولكن متى هذه الساعة؟

كان على هذا المدار السؤال الذى وُجِّه للنَّبِيِّ المختار، والذى استمعنا إليه اليوم فى كلام العزيز الغفار قبل الصلاة:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [187، الأعراف].

فمرة يقول الله ﷻ له – على حسب حال السائلين: ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [187، الأعراف]، ومرة يقول الله ﷻ له – إجابة على نفس السؤال: ﴿ فِيمَ – يعني لماذا يسألون، والعلامات على ظهورها وقربها بدت واضحة – أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ [43، النازعات]، يعني إرسالك بالرسالة دليل على قرب هذا اليوم، وعلى أن الساعة كادت تكون كمغيب الشمس فى آخر اليوم !! أو هى أقرب للإنسان من لمح البصر !!، لو حدق باليقين والإيمان عند النظر، ورأى رؤية ببصره يعتبر، والنفس تزدجر ...، فسيعلم علم اليقين أن الساعة على مرمى البصر!.

لماذا نوَّع الله ﷻ الإجابات؟

لأن الســاعة – ياإخوانى – تختلف من فرد لآخر – على حســب الاســتعداد والتجهز لهذا اليوم ... فأما الكافرون، والجاحدون والمشركون، الذين يقولون – كما قال الله عنهم حاكياً حجتهم:

﴿ ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [24، الجاثية].

انشـغلوا فى الدنيا بعمل الأنعام، وكلُّ همِّهم طلبات الأجسـام، ونسـوا أمر الله: ﴿ الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ﴾ [2و3الأعلى]، والذى يحصــى على المرء نظرات عينيه، وفلتات لســانه وكلماته، وكلَّ حركاته وسـكناته، ولا يغادر صـغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصـاها، فكانوا كما قال فى شـأنهم الله: ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ [19الحشر] ...

نسوا هذا اليوم ولم يتأهبوا له، ولم يتجهزوا له، ولم يستعدوا له، فمشوا فى الدنيا على حسب أهوائهم، لا يراعون شــرع الله، ولا يتأدبون بســنة حبيبه ومصــطفاه !!، ولا يعبأون بخلق الله !! بل الواحد منهم كلُّ همِّه طلباته الشـخصـية ..، وحوائجه الجسـدية ...، ولو كان فى قضـائها هلاك كلِّ البريَّة !!!!!، فذلك شأن لا يعنيه!، وذلك أمرٌ لا يهمُّه البتة!!.

تتفقون معي جميعاً أن هؤلاء وأمثالهم وأشباههم ... سـيكون أمر السـاعة عليهم أمراً شـديداً !!، وسيكون الحساب عليهم حساباً عتيداً!!، وسيكون المرجع عليهم كله وعيدا!!! ....

لأنهم لم يؤمنوا بالله، ولم يهتدوا بكتاب الله، ولم يتابعوا رســول الله، وعاشــوا فى الدنيا عيشــة العقلاء ويحاسبون يوم القيامة عند الله ﷻ حساب الأشقياء، كما أنبأ الله ﷻ: ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ [187، الأعراف]،... لماذا؟ .... لأنهم لم يتأهلوا لها، ولم يستعدوا لها، ولم يتجهزوا لها.

أما المسلمون الذين استناروا بكتاب الله ..، واهتدوا بهدى حبيب الله ومصطفاه ..، وعلموا أنهم إلى الله راجعون ..، ومن الدنيا إلى حضـرته مسـافرون ..، وأنه لابد لهم من يوم – لا يعلم حينه ولا وقته إلا من يقول للشيء كن فيكون – سيدعون فيجيبون ... لا يعلمون متى يدعون؟

قد يُدْعَى الســـاعة!! وقد يدعى وهو فى الصـــلاة!! قد يدعى وهو نائم!! قد يدعى وهو يأكل!! قد يدعى وهو يعمل!! قد يدعى وهو يلهو أو يلعب!! فلما كان الأمر كذلك ....!!

فليســتعد إذاً لهذا التوقيت المجهول، فيجهِّز نفســه بالعمل بشــرع الله، وبالاقتداء بحبيب الله ومصــــطفاه، وبالنظر إلى الخلق بعين الشـــفقة والرحمة والحنان والعطف، كما علمنا الله، وكما أمرنا رسول الله ﷺ.

وهؤلاء عندما يأتيهم النداء ... ياهناهم وياسعدهم ..

- تتجهز السماوات العلا لدخول أرواحهم ..
- وتتجهز القبور بأمر ربِّها لدخول أجسامهم ...
- وتتزيَّن الجنَّة ليروا ما لهم عند ربِّهم ...
- وعندها يسمعون الملائكة المكرَّمون يقولون لهم – ليخرجوا من الدنيا : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [27-30الفجر].

ويحكى عن فاطمة ـ أخت أبي علي الروذباري[3] ـ قالت:

لما قرب أجل أخي ـ وكان رأسه في حجري ـ فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت ... وهذه الجنان قد زينت ... وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلَّغناك الرتبة القصوى وان لم تسالها!، وأعطيناك درجة الأكابر وان لم تردها!، ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواكا   بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ   وبالخد المورد من حياكا[4]

ومن مثل هؤلاء من يقولون لمن حولهم –كما قال عمر بن عبد العزيز ﷺ لما احتضر قال: أجلسوني فأجلسوه، فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت (ثلاثا) ولكن لا إله إلا الله! ثم رفع رأسه فأحدَّ النظر! فقالوا: إنك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين!، فقال إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان، وروى أنه قال لأهله: اخرجوا عني فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعوه يقول: مرحبا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ثم قرأ ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ ثم هدأ الصوت .. فدخلوا .. فوجدوه قد غُمِّضَ وسوِّي إلى القبلة وقُبض.[5]

فهؤلاء يخرجون من الدنيا إلى رَوْحٍ وريحان، وإلى رضاً ورضوان، وإلى ربٍّ غير غضبان. تأتيهم الساعة في أي مكان وفي أي زمان، لا يهمهم ذلك لأنهم عملوا لتلك الساعة، وشحنوا حساباتهم فى الجنة بخير بضاعة، يقول فيها سيدهم ومولاهم:

﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [197،البقرة].

---

3 أحد مشايخ وقته، من كبار اهل مصر، مات سنة نيف وأربعين وثلثمائة وله أخت من الزاهدات العابدات.
4 طبقات الأولياء، وإحياء علوم الدين.
5 البداية والنهاية، والمحتضرين لإبن أبي الدنيا وحلية الأولياء.

وطائفة أعلى منهم – وهم المقرَّبون – ذهب مندوبهم أنس بن مالك ﷺ إلى رسـول الله ﷺ يتحدث بالنيابة عن المقربين، الذين كانوا يسـكنون فى صُـفَّة مسـجد النبي عليه أفضـل الصـلاة والسلام، فَقَالَ:

﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلاَ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ. وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [6]. وفى رواية أخرى: ﴿ أبشر، يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة ﴾ .

فهؤلاء ملأوا قلوبهم ليس بحبِّ الدنيا وزخرفها، وزينتها وشـهواتها، وولدانها ونسـائها، وقصورها ورياشها، ولكنهم ملأوا القلوب بحبِّ الحبيب المحبوب ... وفيهم يقول ﷺ:

﴿ والله لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [7]

حققوا العمل بهذا الحديث فكان رسول الله ﷺ أغلى عندهم من أنفسهم، ومن آبائهم ومن أمهاتهم، بل كانوا يقولون له فى كل واقعة: (فداك أبى وأمى أنت يا رسـول الله)، فهؤلاء أين هم يوم القيامة؟

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء]

يمنٌ عظيم وكرمٌ من الله ﷻ عميم، لا يحتاج إلى مؤهلات ولا إلى تعليم، وإنما يحتاج إلى قلبٍ يمتلىء بحبِّ النَّبِيّ، وحبِّ كتاب الله، وحبِّ الله، وحبِّ المؤمنين الذين اسـتقاموا على شـرع الله .... يحبهم فى الله ولله ...!!، لا يرجو من هذه المحبة إلاَّ أن يكون معهم يوم لقاء الله ... واسمع إلى بشـرى الحبيب لهؤلاء – عسى أن يجعلنا الله منهم أجمعين، فيقول ﷺ:

---

6 صحيح البخارى ومسلم عن أنس بن مالك.
7 صحيح ابن حبان عن أنس.

﴿ يا أيها النَّاسُ اسْـمَعُوا واعْقِلُوا، واعْلَمُوا أنَّ لله عَجَلك عِبَاداً لَيْسُـوا بأنبياءَ، ولا شُـهدَاءَ، يَغبطُهُمُ النَّبيُّونَ والشُّـهدَاءُ عَلَى مَنَازِلهمْ وقُرْبهمْ مِنَ اللهِ، فجَثَى رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قاصِـيَةِ النَّاس، وألْوَى بيَدِهِ إلى النَّبيِّ، فقَالَ: يا رَسُـولَ اللهِ ! نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُـوا بأَنبياءَ ولا شُـهدَاءَ يَغبطُهُمُ الأنبياءُ والشُّـهدَاءُ عَلَى مَجَالِسِـهِمْ، وقُرْبهِمْ مِنَ اللهِ، أنعِتْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا: يَعْني صِـفْهُمْ لَنَا شَـكِّلْهُمْ لَنَا، فسُـرَّ وَجْهُ النَّبيِّ بسُـؤَالِ الأعْرَابيِّ، فقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أفنَاءِ النَّاسِ، وَنَوَازِعِ القَبائِلِ لَمْ تَصِـلْ بَيْنَهُمْ أرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تحَابُّوا فِي اللهِ وتَصَافَوْا يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنَابرَ مِنْ نُورٍ فيَجْلِسُـونَ عَلَيْهَا، فيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً، وثِيَابَهُمْ نُوراً، يَفزَعُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يَفزَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، ولا هُمْ يَحْزَنُونَ، ثم تلى قول الله عَجَلك: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾[يونس] ﴾ [8]

من أراد أن يكون مع النبى وصحبه الكرام، والأنبياء والمرسلين، والشـهداء والصـالحين، ما سـبيله إلى ذلك؟ وما طريقه الموصـل إلى ذلك؟ .. والإجابة أمرٌ سـهلٌ ويسـير، يقول فيه الحبيب البشير:

﴿ مَنْ أَحَبَّ للهِ، وأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ وِلايَةَ اللهِ ﴾ [9]

يكفينا أن الله بشَّـرنا وقال لنا فى القرآن لنفرح بالحبيب المصـطفى فى كل وقت وآن قال له:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾[5الضحى]

لما نزلت هذه الآية، جلس أصحاب رسول الله ﷺ المباركون فى مسجده المبارك، فرحين بهذه الآية، لأنها دليل على عناية الله عَجَلك بنا ولنا أجمعين، منهم من أثنى على الله فى خطبة عصماء، ومنهم سيدنا حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، تغنى بمناسبة هذه الآية وقال:

سمعنا فى الضحى (ولسوف) يعطى فسرَّ قلوبنا ذاك العطاءُ
وكيف يا رسول الله ترضى ومنا من يعذب أو يساءُ
رسول الله فضلك ليس يحصى وليس لقدرك السامي فناءُ
سمعنا فيك مدحاً فابتهجنا وصار لنا بمعناه إكتفاءُ

---

8 رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
9 سنن أبى داوود عن أبى أمامة.

الكوْثر

ولم يكتفِ الله ﷻ لنا بهذا الوعد الكريم لنبيِّه الرءوف الرحيم، بل زاده تكريم، وزادنا منحاً وتعظيم، فقال له ولنا مبشراً به:

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ [الكوثر]

وما الكوثر الذى أعطاه له الله؟ أمرٌ عظيمٌ لو فقهناه !!

والكوثر لغةً هو المفرط فى الكثرة.

وقد فسَّر العلماء الكوثر بمعان كثيرة ومتعددة ..، والذي عليه جمهور السلف الصالح أنه نهرُ فى الجنة، روى أنس عن النبي ﷺ قال:

﴿ دَخَلْتُ الجَنَّةَ فإذا أنا بنَهْرٍ يَجْرِي حافَّتاهُ خِيامُ اللؤلؤ، فَضَرَبْتُ بيَدِي إلى ما يَجْرِي فيه، فإذا هُوَ مسْكٌ أذْفَرُ، قلتُ: يا جبريل، ما هذا ؟ قال: هذا الكَوْثَرُ الذِي أعْطَاكَ اللهُ ﷻ ﴾[10] وقال ﷺ: ﴿ الكوثر نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ في الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ﴾[11]

وقال بعض المفسـرين أن الكوثر يعنى آل بيته ﷺ، وبينوا فقالوا قد نزلت الآية ردا على من عابه عليه السلام من الكفار بأن لا أولاد له، فالمعنى أن الله تعالى أعطاه نسلاً عظيماً يحفظون سنته، ويجددون شـريعته، وبارك سـبحانه فيهم فلم يخل منهم زمان ولا مكان، مع ما لاقوه وواجهوه من القتل والاضطهاد والتشريد والتطريد!! فكان منهم العلماء والحكماء والخلفاء والفاتحون برغم ذلك كله.

وقال آخرون: الكوثر علماء أمته، فإنهم مصابيح الأمة وهداتها، وهم الخير الكثير، لأنهم كما قال ﷺ:

10 رواه الإمام أحمد.
11 أورده المتقى الهندى فى كنز العمال.

﴿ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ﴾ [12].

وقالوا: الكوثر هو النبوة ... وهى لا شـــك الخير الوفير لأنها المنزلة الثانية بعد الربوبية، ولذلك قرن ســبحانه وتعالى اســم حبيبه ﷺ باسمه فى كثير من آيات الكتاب، وأردف طاعته عليه السلام بطاعة الله تعالى، وعلق محبته سبحانه على اتباعه ﷺ فقال تعالى فى الآيات الكريمات: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [80 النساء]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [10،الفتح]، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [31،آل عمران]

وكفاه شــرفاً ﷺ أنه المبعوث آخر الأنبياء والمذكور قبلهم بل ســيدهم، وخيرة الله تعالى منهم الذي واثقهم بالإيمان به ونصرته منذ أن خلقهم، فسمعوا وأطاعوا.

وقالوا أيضــاً:الكوثر هو القرآن، أو الإســلام، وقالوا: هو المقام المحمود وشـفاعته ﷺ فى أهل الكبائر من أمته، وقال آخرون: هو ما اختصــه الله به من الفضــائل والأخلاق والشــمائل، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة.

أما الحوض المورود فقد قال النبي ﷺ لسيدنا أنس بن مالك ﷺ:

﴿ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ ﴾ [13]

أى أنى أنا سـبقتكم إليه وأطمأننت على كل تجهيزاته الربانية وأوانيه العلية التى أعدت لكرامة أمتى وسقيا أهل محبتى، فسأله سيدنا أبوذر ﷺ:

﴿ قُلْتُ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ. آنِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ، آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ. عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ﴾ [14]

ووصفه ﷺ لأصحابه فى موضع آخر فقال:

12 سنن الترمذى وابن داوود وصحيح ابن حبان وابن ماجة عن كثير بن قيس.
13 صحيح البخارى ومسلم عن سهل بن سعد، وفرطكم: أى متقدمكم إليه ومهيئه لكم وساقيكم منه..
14 أخرجه أحمد ومسلم عن بن الصامت عن أبي ذر، ويشخب :أى يصب، ميزابان: أى مصبان، وأيلة أول الشام.

﴿ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ . وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ . وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ . وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ . وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ . فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَداً ﴾ [15] وقوله فى صفة الورود: ﴿ وَتَرِدُونَ عَلَيَّ مَعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ [16] وقوله ﴿ لا يَتَنَاوَلُ مُؤْمِنٌ مِنْهَا فَيَضَعُهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ آخَرُ ﴾ [17]

وأفاض ﷺ أيضاً فى موقف آخر فى وصف بعض من يردون الحوض:

﴿ إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ الْيَمَنِ . أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ – ثم قال: يَغِتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ . أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ، وَأَوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الشُّعْثُ رُؤُوساً الدُّنْسُ ثِيَاباً، الَّذِينَ لا يَنْكِحُونَ الْمُنَعَّمَاتِ، وَلا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدَدِ ﴾ [18]

وآخر ما قال النبى ﷺ لأصحابه على المنبر كما ورد عن بعضهم:

﴿ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِيَ الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا ﴾ [19] وفى رواية زيادة: ﴿ وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ﴾ ،

وأخيرا الحديث فيمن يحرم منه؛ حتى نحرص بشدة أن نكون أهلاً لهذه البشرى ولا نفرط فى نصيبنا من شربة الرى الأبدى والهناء السرمدى:

﴿ فَإِذَا جِئْتُمْ – أى إلَى الْحَوْضِ – قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، قَالَ لَهُمْ: أَمَّا النَّسَبُ فَقَدْ عَرَفْتُهُ، وَلَكِنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ بَعْدِي، وَارْتَدَدْتُمُ الْقَهْقَرَى ﴾ [20]

إخوانى القراء الكرام ...الحقيقة أنه قد ورد كمٌّ كبير من الأحاديث النبوية فى شأن الكوثر المورود وقد بلغت حد التواتر [21]. وقد أخترت لكم ماسبق منها بعناية حتى نلم فى هذه العجالة بما يكفى لبيان هذه البشرى العظيمة الكريمة التى بشرنا بها حبيبنا وطبيب أرواحنا ﷺ ...

---

15 صحيح مسلم عن عمرو بن العاص، وأبيض من الورق: أى أبيض أو ألمع من الفضة.

16 مصنف ابن أبي شيبة ، عن عمر بن الخطاب

17 مجمع الزوائد ، عن جابر بن عبد الله ن رواه البزار

18 صحيح مسلم عن ثوبان، «عقر الحوض»:هو مؤخره.، «أذود الناس لأهل اليمن»: أي أطردهم وأدفعهم ليرد أهل اليمن، «يرفضّ»:: أي يسيل ويترشش، «يغتّ فيه ميزابان»: أي يجريان فيه جرياً له صوت، وقيل: يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً دائماً، «الشعث»: جمع أشعث، وهو البعيد العهد بدهن رأسه وغسل وتسريح شعره، «الدنس»: الوسخ.

19 صحيح البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر، وآخِرِهِ قال عقبة: فكانَ آخِرَ ما رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ على المِنْبَرِ، وفى نصب الراية لجمال الدين الزيلعى قال: و زاد ابن حبان: ثم دخل بيته فلم يخرج حتى قبضه الله ﷻ .

20 عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ , عَنْ أَبِيهِ أخرجه أحمد 18/3(11155)، المسند الجامع

21 وَأَحَادِيثُهُ قَدْ بَلَغَتْ التَّوَاتُرَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ بَعْدَ الإِشَارَةِ إلَيها، طرح التثريب للحافظ زين الدين العراقى.

فهذه الطائفة المنتقاة يتضح منها أن حوض رسول الله المورود وكوثره المشهود ...سيتسع إن شـاء الله وبقدرة الله لسـقيا جميع الأمه المحمدية!!، وأفراد الأمة الموعودون .. وهم فى ذلك درجاتٌ ... فمنهم من يذهب الإناء إليه ويرتفع إلى شفتيه فيشرب ويروى! ومنهم من تسقيه الملائكة فيشبع ويهنى ! ومنهم من يسـقيه النبى ﷺ بيديه فيسـعد ويرقى ... وبذا يتسـع الحوض لجميع الإمة على تفاوت الدرجات ...إلا! إلا من غيَّر وبدَّل! وسـار على غير النهج وعدَّل! فإنه لايسـقي وإن جاء وطلب ونادى النبى وسـأل! .. فمثله يردُّه الله عن الحوض إكراماً لنبيه لأنه عليه يغار! .. فمن لم يتبع أمره الشـريف طرد، و من تابع واتبع وسـار على النهج ولم يغير أو يبتدع فإنه ﷺ يعرفه بإسمه على مرِّ الدهور والعصـور ويأخذ بيده بل ويفسـح المكان ويوسِّـعه لأهل الشـرف .. إعلاماً لأهل الموقف بكرامتهم وتعريفا لكل الخلائق بسـبقهم، يتقدمهم أهل الفقر إلى الله الذين اسـتغنوا به تعالى عمن سواه ولم يطلبوا إلا إياه فحقَّ لهم تكريم الله وسقيا رسوله ومصطفاه وتشريفه ﷺ لهم أمام جميع خلق الله.

وإنَّا إن تكلمنا عن وصـف الحوض طولاً وعرضـاً، وصـفة شـرابه طعماً وريحاً ولوناً، وروافده صفة وصنعاً، وأوانيه عدداً وحجماً.. فكل هذا ظاهر واضح والأحاديث فيه كثيرة بينة وظاهر أقوالها لا يحتاج لشرح ولا لبينة.

ونحن نقول أن من كان له الدين الحنيف من كتاب ربه وسـنة نبيه الشـريف فى الدنيا كوثراً اسـتغنى به عمَّا سـواه، ومن كان سـيره فى حياته وعكوفه فى دنياه .. على سـنة حبيب الله وهدى رسوله ومصطفاه .. وقد شرب من صافى طهور شراب المعانى مما أفاضه ﷺ على أمته من أنهار سنته وبحور حنانه ومحبته، .. فكانت سنَّةُ الحبيب له فى الدنيا أحلى من العسل وألين من الزبد وأبيض من الفضـة وألمع من نجوم السـما، ... فمثل هذا قد شـرب من كوثر المعانى النبوية الرويَّة فى الدنيا ... ولذا تجده بعد ذلك لا يصـيبه ظمأ أبداً !! ... والناس من حوله ظمأى للدنيا وإن تضـلَّعوا من شـرابها!! ... وفقرا وإن كنزوا من أموالها!! .... ووسـخى وإن لبسـوا من فاخر ثيابها!! وتريحوا بأثمن عطورها.. !! ..

بل وقد يمنُّ الله تعالى بأن يسـقى بعضـهم فى الدنيا من الكوثر شـربةً ظاهرة جليَّة لا باطنة معنوية فيرتوى فلا يشعر بعدها بحرٍّ ولا شمس ولاظمأ، كما حدث للسيدة أم أيمن لما هاجرت وحدها للمدينة، واقرأوا :

﴿ خرجت أم أيمن مهاجرة إلى الله وإلى رسوله ﷺ وهي صائمة، ليس معها زاد، ولا حمولة، ولا سقاء، في شدة حرّ تهامة، وقد كادت تموت من الجوع والعطش، حتى إذا كان الحين الذي فيه يفطر الصائم، سمعت حفَيفا على رأسها، فرفعت رأسها، فإذا دلو معلق برشاء أبيض، قالت: فأخذته بيدي، فشربت منه حتى رويت، فما عطشت بعدها ﴾ وقالت : ﴿ كنت أصوم بعد تلك الشربة في اليوم الحار الشديد، ثم أطوف في الشمس كي أظمأ فما ظمئت بعدها ﴾، ﴿ فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة وإن كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش ﴾ .

ولمكانتها العالية رضى الله تعالى عنها قال فيها ﷺ :

﴿ من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد ﴾ [23]

أما عن معانى الكوثر الباطنة ورموزه الكامنة التى يجلي الله ويسقي رسوله منها لأهل القرب والوداد فى الدنيا قبل دار الميعاد.. فهى كؤوسٌ راحٍ لا ينتهى شرابها! .. وأسرارٌ لا ساحل لبحرها! ولكن ليس كتابنا هذا مجالها!، وقد نعود إليها إن شاء الله لفك بعض رموزها أوكشف شيء من كنوزها ... إذا أذن خازنها وأدار الراح مديرها.

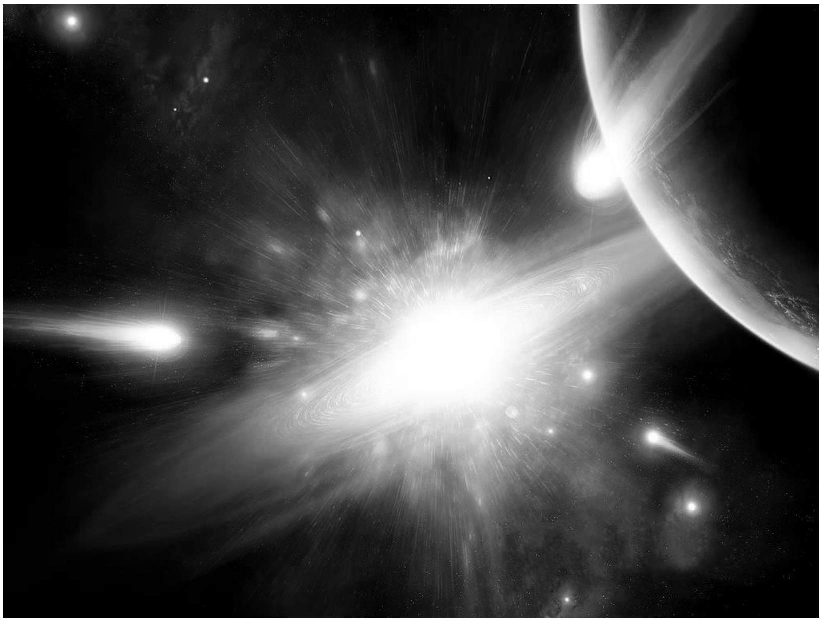
22 مصنف عبد الرزاق الصنعاني عن ابن سيرين، والرواية الثانية فى دلائل النبوة عن ثابت وأبو عمران الجوني وبن حسان وروى الحديث آخرون، و هناك رواية أخرى أنها خرجت مهاجرة وحدها فقابلها يهودى وأهله واصطحبوها، ولما علموا إسلامها وهجرتها حبس الماء عنها لقتلها ومنع أهله من مساعدتها، حتى اشتد ظمأها وذهب سمعها وكادت تهلك وعندها سقاها الله كما روت، وصارت تتعمد اليوم القائظ بالصيام والطواف ولا تجد لذلك مساً ولا إحساس.

[23] : الطبقات الكبرى (ابن سعد)

الفصل الأول:

حقائق البعث 25

- قضية أزلية
- عجب الذنب
- علامات الساعة
- البعث
- بصمة البنان
- قيام ينظرون
- أهل سابقة الحسنى
- المقربون
- أهل اليمن
- الحساب العسير



الفصل الأول□



حقائـقُ البعث

قضيَّة أزليَّة ..

إخوانى القراء الكرام ...

بعد بسم الله الرحمن الرحيم ... أبدأ بحول الله وقوته فى أول موضوعات هذا الكتاب راجياًً إياه ﷻ التوفيق والسداد فيه، والذى أرجو أن يسدَّ فجوة حسبتها فى المكتبة الإسلامية على حدَّ ما بلغنى من الدراية والإلمام، وبدايتنا مع القضية الأزليَّة ...

إن الله تعالى هو ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى] فسبحانه الذى خلق الإنسان ! وسوَّى له الزمان ! وهيَّأ له المكان، ثم توفَّاه بعد ذلك ليخرج يوم القيامة فى نشأة

أخرى .. ليُعرَض بما جنت يداه وما عملت من الصالحات أو اكتسبت من السيئات فى يوم معلوم، القاضى فيه هو الحى القيوم، والشهود فيه هم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون والجوارح وبقاع الأرض: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [30،يونس] ....

وقد أنبأنا سبحانه على لسان نبيه فى قرآنه الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بكل شئ سيحدث لنا فى الدنيا، أوسنتعرَّض له يوم العرض واللقاء، حتى ينتهى الحشر ويبدأ الجزاء .. بل وما بعد ذلك:

﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [7،الشورى]

ورســـوله ﷺ هو النبى الأُمى الذى علَّمه مولاه فأعجز العلماء والحكماء قاطبة، وقال تعالى فيه إعلاماً بفضـله وإعلاءاً لشـأنه وإخباراً للخلائق عن مصـدر علمه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [113النســاء] ... وكان مما علَّم ﷺ لحبيبه وأفاضــه على قلبه من كتابه ... آيات جعل تعالى فيها ردَّاً بليغاً منه ســبحانه ﷻ لقضــية تثور بقوة منذ بدء الحياة .. بل واتَّسـع نطاقها أعظم وأكثر فى هذا الزمان!!، لكثرة المجادلين والمعارضـين للقرآن، والجاهلين بالعلوم التى بثَّها فيه الرحمن ﷻ،... ما القضية؟ .. هى القضية التى أقسم الله عليها فى سورة القيامة:

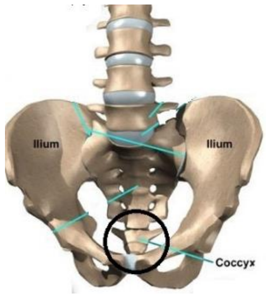
﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ ﴾ [القيامة]

هذه القضـية هى محور الحديث والدراسـة فى هذا الفصـل ..... فالناس يتسـاءلون منذ الأزل !! هل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟! فالبشر بعد أن تموت تفنى وتتحلل وتتحول إلى تراب ..، ومن الناس من يموت غرقاً فى البحر وتأكله الأسماك والحيتان فى جوفها، ومنهم من يموت حرقاً بالنيران ولا تُبقى النيران منهم ذرة ولا قليلاً ولا كثيرا ... ومنهم ومنهم ومنهم ... هل بعد ذلك سيرجع الإنسان مرة أخرى؟ !!!

ويرسـل الله الرسـل والأنبياء فيجيبون الناس .. ويمرُّ الزمان وتتسـع الأركان .. وينتشـر بنو الإنسـان .. وتعمر أوطان وتهلك أوطان ... وينسـى أكثر الناس الإجابة! فيجدِّد الله عهده للبشـر بالرسـل ... حتى أتى الميعاد وأرسـل الله نبى آخر الزمان ومعه القرآن فيه كل ما يحتاج الخلق إلى لقاء الحق، ومن جملة ما فى التبيان الإجابة عن السؤال الأزلى للإنسـان... إجابة هى مسك الختام، إجابة لا تبلى ولا تُنسى على مر الأيام أو إتساع المكان !

ولكن قتل الإنســان ما أكفره! لا ينتهى عناده ولا ينقضــى جداله ! فكلمَّا كشــف الله له بالعلم سراً وازداد بذلك أهل الإيمان إيماناً, وأشرقت الهداية فى قلوب أظلمت دهوراً وألان نور العلم عقولاً تحجرت عصــوراً .. إلا أهل الكبر والعناد والجدل! يســتمر كبرهم وينمو عنادهم مع جلاء الحقيقة من حولهم! .. ويصبحون كمن يطفأ الشمس بأن يغمض عينيه!!.

عَجْبُ الذّنَبِ[24]



وكما قال الله تعالى فى محكم التنزيل:

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف]

فقد ردَّ الله ﷻ علي تلك القضية الأزليَّة وأجاب جميع السائلين رداً بليغاً بكلمات ثلاث ! هى الآية السابق ذكرها ....

ودعونا نتناول الأمر معا بهدوء ورويَّة خطوة خطوة.. لأنها قضية شائكة وخيوطها متشابكة ... وأبدأ من النهاية ... نهاية كلّ إبن آدم ... فالإنســـان كما قال نبى آخر الزمان متناولاً هذه القضية كاشفاً سرَّاً من أسرار الخلق لم يعلِّمه للبشرية على الحقيقة أحد سواه:

﴿ كُلُّ ابنِ آدَمَ تأكُلُهُ الأرضُ إلا عَجْبُ الذنَبِ، فإنَّهُ مِنْهُ خُلِقَ ومِنْهُ يُرَكَّبُ ﴾ [25]

ما السر الذى كشفه رسول الله ﷺ للبشرية هنا؟

أيها القراء الكرام أنَّ الإنســـان بعد أن يدفن فى مســـتقره من الأرض ما هى إلا أيام قليلة ويتغير ويتحلل فينزل شعره فماء عينيه وبعدها الجلد ولا يبقى مع الوقت إلا عظامه، وبمرور السنين تتحول العظام إلى تراب، ولا يبقى بعد ذلك من هذا الإنسان كله إلا جزءاً بسيطاً قال فيه النبى إنه عجُبُ الذنَب .. وهنا الســرُّ ... فعَجْبُ الذنَب هو الجزء الموجود فى مؤخرة العمود الفقرى للإنسان، وهو ما نسميه باللغة العامية بالعصعص.

24 أَصل الذَّنَبِ الـمَغْروز فـي مؤخر العَجُزِ؛ وقـيل: هو أَصلُ الذَّنَبِ كُلُّه. وقال اللـحيانـي: هو أَصْلُ الذَّنَب وعَظْمُه، وهو العُصْعُصُ؛ والـجمعُ أَعْجابٌ وعُجُوبٌ، كذا فى لسان العرب.
25 صحيح مسلم.

وفى أمريكا ظهر اكتشاف مذهل دشَّنه الرئيس السابق كلينتون ومعه رئيس وزراء بريطانيا، فقد كشف علماء أمريكا عن الخريطة الجينية للإنسان، وللعجب العجاب – ولكنه ليس عجيباً لأولى الألباب الذين آمنوا برب الأرباب وصدقوا بهذا الكتاب – أنهم اكتشفوا أن هذا الجزء الذى هو فى مؤخرة العمود الفقرى للإنسان فيه خريطة جينية كاملة لكل شئ فى الإنسان! فيها تقاطيع وجهه، وفيها ملامح عينيه، وفيها طبيعة أذنيه، وفيها تكوين كل أعضاءه، وفيها كل شئ عنه! فى هذه الخريطة التى لا تُرى بالبصر فى هذا الجزء الذى هو فى مؤخرة ظهر الإنسان!!. وإن كانت هذه الخرائط الجينية موجودة فى خلايا الجسم بإبداع صاغه المبدع الحنان .. ولكن الوضع يختلف فى عجب الذنب عن باقى خلايا الإنسان ..

إذ جاء العلماء بهذا الجزء الدقيق من إنسان مات وأدخلوه فرناً حرارياً، ثم فرناً ذرياً، وانتظروا النتيجة !! وللعجب وجدوا أن الحرارة والنار لا تؤثر فيه! وأن الذرة لا تفنيه!! وأن هذا الجزء لا يستطيع أى عنصر من عناصر الأرض مهما كانت شدة إذابته أو إحراقه ومهما كانت قوته وشدته أن يُغير ماهيته! أو يتلف الخريطة التى أودعها الله فيه! .. فهذا أمر الخالق الذى قدَّر وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .... وتحقق الكثير من أهل العلم من غير المسلمين أن نبى الإسلام الذى كشف السرَّ وأماط اللثام إنما علَّمه العليم العلام وأنه بحق الصادق الأمين وصدق ما قاله فيه ربه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ [النجم] فأسلم منهم الكثيرون !!!!

يقول الدكتور زغلول النجار فى كتابه { **الإنسان من الميلاد إلى البعث فى القرآن الكريم** }:

[ثم إذا مات ابن آدم، وغادرت روحه جسده، فإن هذا الجسد يبدأ فى اليبوس والتخشب حتى يصير كالتمثال الحجرى أو "صلصال كالفخار" وبعد دفنه يبدأ فى التحلل التدريجى الذى تقوم به البكتريا والفيروسات والفطريات والطحالب التى تعايشت مع الجسد فى حياته، والتى توجد فى جو وتربة القبر الذى يدفن فيه، فيتغير لونه، وتنتن رائحته (أى تفسد) حتى يصير "صلصالاً من حمأٍ مسنون" ثم يتحول إلى "طين لازب" يفقد جزءاً من محتواه المائى، وبفقد جزء آخر من مائه يتحول إلى طين، ليس كأى طين، ولكن له تركيب خاص يجعله "سلالة من طين" وبفقد كل محتواها من الماء تتحول هذه السلالة من طين إلى تراب يغيب فى "تراب الأرض" فيما عدا فضلة واحدة سماها رسول الله ﷺ باسم "عجب الذنب" ووصفها بأنها عظمة فى حجم حبة الخردل توجد فى نهاية العصعص، وأنها لا تبلى أبداً، وأن الإنسان يُبعث منها فى يوم القيامة بعد إنزال مطر خاص، فينبته الله ﷻ من عجب الذنب كما ينبت البقلة من بذرتها، وقد أيدت الدراسات المختبرية صدق هذا الوصف النبوى الشريف بأن الشريط الأولى الذى ينحسر على هيئة كل أعضاء وأجهزة الجسم يخلق من عجب الذنب الذى لا يبلى أبداً " ، أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

﴿ كُلُّ ابنِ آدَمَ يأْكُلُهُ التراب إلا عُجْبُ الذَنَب، فإنَّهُ مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ ﴾ .

وفى رواية أخرى أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

﴿ يبلى كل عظم من ابن آدم إلا عُجْبُ الذنَب، وفيه يُركَّبُ الخلق يوم القيامة ﴾ .

كذلك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ مَا بيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبعُونَ، ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، ولَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى إِلاَّ عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذنَب، مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وواضح الأمر من هذه الأحاديث النبوية الشريفة ومن غيرها أن بلى الأجساد هو حكم إلهى عام لا يستثنى منه إلا أجساد كلٍ من الأنبياء والشهداء، والمؤذنين المحتسبين كما ذكر ابن حجر العسقلانى.

وأحاديث (عجب الذنب):

تحتوى على حقيقة علمية لم تتوصل إليها العلوم المكتسبة إلا بعد الثلث الأول من القرن العشرين فى سلسلة من الأبحاث قام بها العالم الألمانى هانز سبيمان (Hans Spemann) الذى نال جائزة نوبل فى العلوم (سنة 1935م) لأبحاثه على "الشريط الأولى" فى البرمائيات، التى أثبت بها:

أن جميع أجهزة الجسم تتخلق من هذا الشريط الأولى، وأن هذا الشريط لا يبلى أبداً، وأنه بعد اكتمال تكوُّن جميع أجهزة الجسم فإن هذا الشريط الأولى ينسحب إلى نهايات العمود الفقرى التى تعرف باسم العصعص (Coccyx) على هيئة عظمة دقيقة سمَّاها رسول الله ﷺ باسم: "عجب الذنب"] انتهى.

فإذا أراد الله ﷻ تهيأة الزمان والمكان للعرض والحســاب، تبدأ فتن ما قبل القيامة، وأعظم هذه الفتن والتى تُنذر بقرب الساعة هى أن تكثر الزلازل والبراكين، ويكثر الخسف، وتخرج الشمس بعد ذلك من مغربها وليس من مشرقها، ثم بعد ذلك تأتى النفخة الأولى وهى نفخة الفزع:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [87النمل]

هذه النفخة التى كان حبيبنا وقرة أعيننا ينتبه ويســتعد ويتأهب لها، إذ نبَّه وحذَّر أمته وأمرها أن تستعد فقد استعدَّ الملك للنفخ فى الصور:

﴿ ما أُطرق صاحب الصور منذ وكِّل به مستعدّاً بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه، كأن عينيه كوكبان دريّان ﴾ [26]

ولذا قال ﷺ لأصحابه مجلِّياً الحقيقة لهم لماذا لا يستزيد من نعم الدنيا:

﴿ كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ ﴾ [27]

فإذا نُفخت هذه النفخة .. فزع أى ماتوا من شـدة الفزع كل من فى السـماوات والأرض إلا الشـــهداء كما ورد عن أبى هريرة وبن عباس لأنهم أحياء ولكنهم مؤمنون من الفزع يومئذ وكذا الملائكة العظام الأربعة وحملة العرش وقيل والحور العين وملائكة النار، ويمت بالفزعة كلُّ من كان على البسـيطة إلا من شـاء الله، ... ثمَّ يأمر الله ﷻ الأرض أن تتجهز للعرض والحسـاب، فيأمر الله ﷻ الهواء أن يهبَّ على الأرض من جهاتها الأربع، وتشـتد صـدمات الهواء حتى تُحول الجبال العاتية إلى أكوام من الرمال﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [14المزّمّل] .. أكوام رمل غير متماسـك من شـدة صدماتها، ثم تشتد صدمات الجبال حتى تُسوَّى الأرض ببعضها ...

26 رواه أبو هريرة ﷺ وأخرجه أبو الحسنبن صخر في فوائده وغيره، ذكره صاحب التذكرة في أحوال الموتى.
27 سنن الترمذي عن أبى سعيد الخدرى.

وفى تلك اللحظة يأتى دور عَجْبِ الذَّنَب الذى لا يفنى ولا يتغير، وفيه مغناطيســـية ربانية لذرات كل إنســـان على حده – فكل واحد له ذراته الخاصـــة به حتى ولو كان فى المقبرة الواحدة المئات مدفونين! لا تختلط ذرات إنســـان بإنســـان آخر فالذى يحفظ التوازن ربُّ العالمين ﷻ!! – وبالمغناطيسـية الربانية تتجمع ذرات كل إنسـان على خريطته الجينية الوراثية فى عَجْبِ ذَنَبه! .. فإذا تمَّ ذلك؛ أمر الله ﷻ الهواء أن يتوقف لأن البشر تجمعت أبدانهم من ترابهم الذى وُضع فى تربة هذه الأرض: ﴿ منها خلقنكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ۝ ﴾ [طه] فإذا انتهت؛ أمَرَ الله ﷻ ملك الصور إسرافيل أن ينفخ النفخة التالية وهى نفخة الصعق:

﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ﴾ [الزمر،68]

فتموت الأرواح وتشـــمل الشـــهداء والحور وكل من اســـتثنى من النفخة الأولى إلا الملائكة الأربعة وحملة العرش.. لأن الموت فى النفخة الأولى للأجساد وللأشباح، أما الأرواح فتبقى حيَّة عند الكريم الفتاح حتى النفخة الثانية نفخة الصعق، فإذا مات الجميع، قال الله ﷻ لإسرافيل: من الذى بقى؟ فيقول: إســـرافيل وعزرائيل وجبرائيل وميكائيل وحملة العرش، فيقول ربُّ العزة: ليمت حملة العرش؛ فيموتون، ليمت إسـرافيل فيموت، ليمت جبرائيل، ليمت عزرائيل، ليمت ميكائيل فيموتون ولا يبقى إلا الله!

فيقول الله جلَّ فى علاه: أين الجبابرة ؟ أين القياصـــرة؟ : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فلا يجيبه أحد، فيجيب نفســـه بنفســـه ويقول: ﴿ لله الواحد القهار ۝ ﴾ [غافر] يقول ذلك ... ثم ينادي سبحانه : ألا من كان لي شريكا فليأت !! فلا يأتيه أحد، يقول ذلك ثلاثا . [28]

[28] وردت التفاصـيل بكثير من المراجع مثل الأهوال لابن أبى الدنيا ومسـند اسـحق بن راهويه والأحاديث الطوال للطبرانى، والبعث والنشـور للبيهقى والعظمة لأبى الشيخ الأصبهانى غير كتب التفاسير العديدة وغيرها بتصرف.

البعث

فيأمر الله بعد ذلك السماء أن تُنزل مطراً يقول فيه حبيبنا ﷺ:

﴿ تمطر السماء أربعين عاماً منيّاً كمَنى الرجال، منه يتكون الخلق كما منه بُدء الخلق ﴾ [29]

لأن الحكيم العليم ﷻ إذا قدَّر إيجاد نطفة فى هذه الحياة، وقدَّر لقاء الرجل مع المرأة لتخلق نسمة .. أمر ملكاً من أهل وسماواته أن يأخذ منيَّاً من مَنى هذا الرجل ويقسمه الملك إلى ثلاثة أجزاء كما جاء جزء للرحم فى الدنيا وجزء يذرُّ على التربة التى سيدفن بها ليجذبه إليها عندما تحين وفاته، وثالث تحفظه الملائكة بخزينة المزن بالسموات أو بخزينة مخصصة مكانها تحت العرش ليكون منه مبعث نشأته الثانية– فتمطر السماء منها منياً كمَنى الرجال أربعين عاما، فتتكون الأجساد وقد ورد:

﴿ ثم يرسلُ اللهُ من تحت العرش منيًا كمني الرجال، فتنبُتُ أجسامُهم ولحمانُهم من ذلك الماء كما تنْبُتُ الأرضُ من الثرى وليس من بني آدم خلقٌ في الأرض إلا منهُ شيءٌ– أى عجب الذنب– **ثمَّ قرَأ عبدالله بن مسعود** ﷛: وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾(9فاطر) ﴾ [30]

ولذا لما سئل رسول الله كيف يحيى الله الموتى؟ قال للسائل:

﴿ أما مررت بأرض مجدبة، ثم مررت بها مخصبة تهتز خضراء ؟ قال: بلى . قال: كذلك يحيي الله الموتى وكذلك النشور . ﴾ [31]

فتنبت الأجسام كالبقلة... ولكنها لا روح فيها ... وعندما يريد الحق:

---

29 مصنف ابن أبي شيبة والمستدرك للحاكم عن عبدالله.
30 وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وفى الفتن لنعيم بن حماد.
31 أخرجه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه.

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [68الزمر]

فيحيى الله إسـرافيل؛ ثمَّ ويأمره أن ينفخ النفخة الثالثة وهى نفخة القيام، وفى الحديث المروى عن أبى هريرة ﷺ:

﴿ يُنْفَخُ فِي الصُّـورِ ثَلاثَ نَفَخَاتٍ: الأُولَى: نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّـعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ العَالِمِينَ تَبارَكَ وتَعالى ﴾ [32]

فتخرج الأرواح من مسـتقرها إلى جسـدها الذى كانت فيه فى الدنيا، تعرفه بأمر ربها ولا تذهب إلى جسد آخر! وإنما يذهب كل إلف إلى أليفه لأن هذا تقدير العزيز العليم الذى لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء.

ولكن الأجساد التى نبتت تنشأ وتتكون بالصورة المناسبة للبعث وللحساب وللجزاء، الصورة هى الصورة البشرية لكن هيئة المقربين وأهل اليمين هيئة جنانية، يقول فيها المصطفى خير البرية ﷺ:

﴿ على هيئة آدم فى طول سـبعة وسـتين ذراعاً ، ولا يَبُولُونَ فِيها ، ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَتَنَخَّمُونَ، إنّما يكونُ ذلك جُشَاءً وَرَشْحاً كَرَشْحِ المِسْكِ، ويُلْهَمُونَ التّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَس ﴾ [33]

فلا بول ولا غائط لأن الجنة لا تحتاج إلى ذلك، ويكون طول الإنسان سبعة وستون ذراعاً إن كان من أهل اليمين أو من المقربين، فى سن ثلاث وثلاثين وهو سن الفتوة والشباب، ولا يزيد لقول الحبيب: **"لا يبلى شبابهم"** يظلون شباباً خالدين فيها أبداً لأن هذا تقدير العزيز العليم.

أما أهل النار – والعياذ بالله – من الكافرين والمشـركين فتكون هيئتهم على ما تتحمل العذاب الذى سيدخلونه فى نار جهنم، يصف الحبيب ﷺ بعض أوصافهم فيقول فى شأنهم:

﴿ إنَّ غِلَظَ جِلْدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبعونَ ذِرَاعاً ، وَإنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَإنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كما بَيْنَ مَكّةَ وَالمدِينَةِ ﴾ 34

---

32 تفسير الطبرى عن أبى هريرة والسمرقندى وفتح البارى بشرح صحيح البخاريوغيرها، وقال بالثلاث نفخات كثيرون سابقون ولاحقون وإن كان اشتهر بين الناس أمر النفختين.

33 مسند الإمام أحمد عن جابر.

34 سنن الترمذي وهو صحيح

لماذا؟ لأن الإيذاء وذوق الحرارة والشـعور بالبرودة وألم العذاب لا يحسُّ به إلا الجلد، ولذلك يكون الجلد كســفر ثلاثة أيام: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [56،النساء].

وهذا من إعجاز كلام الله ﷻ، فإن الذى يذوق الألم هو الجلد، ولذلك لو طُعن إنســان أو شُـك بإبرة لا يشـعر بوخز الإبرة أو ألم السـكين إلا الجلد الظاهر، لكن بعد طبقة الجلد الظاهرة لا يشــعر الإنســان ولا يحس كما قال أحكم الحاكمين ورب العالمين ﷻ! فتكون هيئتهم ملائمة لما يصــطلونه فى نار جهنم، وجْه أحدهم يقول فيه الحبيب: ﴿ وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ﴾[35] فما بالك بفمه! فما بالك بوجهه! أما مقعدته الذى يجلس عليها يقول فيهَا:

﴿ وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ﴾[36] حتى يتألم أشد الألم ويشعر بعذابه كأشد ما يكون.

---

35 سنن الترمذي عن أبي هريرة.
36 سنن الترمذي عن أبي هريرة.

بصمة البنان



كل ذلك ذكره لنا ربنا، ودلَّل لنا فى آياته القرآنية بآية ربانية عندما حكى لنا هذه القضية:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾ [القيامة].

قال اشهدوا بالدليل، معكم بصمة الإصبع، مَن الذى يشبه بصمته بصمة من سواه من خلق الله من الأزل القديم إلى يوم الدين؟! وما البصمة؟

مسارات وخطوط فى إصبع الإنسان، كلها خطوط متشابهات لكن لا تشبة بصمة إصبع لإنسان بصمة إصبع لإنسان آخر ولو كان من ولده ومن صلبه ومن ذريته!! لأن هذا دليل على وحدانية الله الذى جعل لك بصمة خاصة لإصبعك، وبصمة خاصة لعينك، وبصمة خاصة لأسنانك وأضراسك، وبصمة خاصة لشفتيك، وأخرى لصوتك، فجعل لك إنفراداً فى كل الأمور لتعلم أن قدرة الله ﷻ الذى قدَّر صالحة لكل شئ فتقول:

﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ ﴾ [آل عمران].

ويشير العلماء إلى أن تسوية بنان الإنسان الحى هو أمر معجز حقاً، والأكثر من ذلك القدرة على إعادة تسوية البنان عند البعث بعد أن تحلل الجسد، وكانت عظامه قد بليت، وغاب ذلك كله فى تراب الأرض، والله ﷻ قادر على جمع العظام بعد تحللها، بل هو ﷻ قادر على ما هو فوق ذلك، ألا وهو إعادة تسوية بنان الميت عند بعثته بتفاصيل بصمته التى ميزته طوال حياته عن غيره من بنى جنســه، والتى تمثل الخاتم الذى ختم به بناء جســده وهو لم يزل جنيناً فى بطن أمه لم يتجاوز الشهر الثالث من عمره.

ومن الثابت أن بصـمة الإنسـان تزداد فى الحجم مع نمو الجسـم ولكنها تظل محتفظة برسمها وشكلها وتفاصيلها المميزة لشخصه طيلة حياته، مما يجعلها دليلاً قاطعاً عليه، وميزة ثابتة له.

لأنه حتى لو تقاربت فى الشـكل بصـمتا بنانين مختلفتين فإنه لا يمكن لهما أبداً أن تتطابقا تطابقاً كاملاً فى التفاصيل، والأشكال الهندسية للبصمات سواء كانت لأصابع اليدين أو القدمين، أو على راحتى اليدين أو بطنى القدمين، أو على الجبين، هى نمط من الكتابة الدقيقة التى لا يعلمها إلا الله ﷻ، والمَلَك الذى أمر بخطِّها، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ:

﴿ إذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ نَسَمَةً قَالَ مَلَكُ الأَرْحَامِ مُعْرِضاً: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي اللهُ (أَمْرَهُ) فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقْضِي اللهُ أَمْرَهُ، ثُمَّ يَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَا هُوَ لاَقٍ حَتَّى النَّكْبَةَ يُنْكَبُهَا ﴾ [37].

وقد ميَّز الله الخالق البارئ المصور كل فرد من عباده بهذه الكتابة على الجبين، وعلى أصابع كل من اليدين والقدمين، وعلى راحتى اليدين، وبطنى القدمين بصـورة تجعله منفرداً عن غيره، ومميزاً عن كل من هم سواه من بنى البشر، فيختلف فى ذلك الأخ عن أخيه، والولد عن أبيه، والبنت عن كل من أمها وشقيقاتها رغم ترابط الرحم والدم وبعض الصفات الوراثية الأخرى.

والخطوط البارزة فى البصـمة تحمل المسـام العرقية، وتتكون بشـرة الجلد من خمس طبقات أسفلها الطبقة الملاصقة للجلد وهى التى تجدد البصمة إذا تأثرت بعارض خارجى.

وقد أثبتت دراسـات الجنين البشـرى أن هذه الخطوط المميزة لكل فرد تُرسـم بعناية فائقة فى نهايات الشـهر الثالث وبدايات الشـهر الرابع من عمر الجنين وهو لا يزال فى بطن أمه، وقد اكتمل هيكله العظمى، وتمت كسـوته باللحم (العضـلات والجلد)، واكتملت أعضـاؤه وأجهزته، وأخذت الملامح البشرية فى الظهور عليه، وأصبح فى الطريق إلى إنشاءه خلقاً آخر.

وتمثل هذه الخطوط البصمية ختماً خاصاً لكل فرد من أفراد الجنس البشرى، أعطاه الله ﷻ إياه، وخصَّ الإنسـان به دون سـائر المخلوقات، وهذا الختم الإلهى لا يمكن تقليده، وقد أعطاه الله ﷻ القدرة على الثبات وعدم التغير، وعلى إعادة التشـكل بنفس الهيئة عند تعرضـه لأية مؤثرات خارجية من مثل الحروق أو الجروح أو الإصـابة ببعض الأمراض الجلدية، أو البلى نتيجة لبعض المزاولات المهنية الشاقة.

---

[37] رواه أبو يعلى والبزار عن ابن عمر.

وتبقى هذه الخطوط بأشكالها وتفرعاتها ومواضع اتصالها أو انفصالها ثابتة لا تتغير أبداً، حتى تبقى هوية ربانية دائمة لكل واحد من بنى الإنسان، إلا إذا تم تشويه الأنامل تشويهاً كاملاً، ووصل هذا التشويه إلى الطبقة السفلى من الجلد، وهى الطبقة المعوضة للبصمة، فإذا دمرت هذه الطبقة فإن البصمة لا تعوض، ويتم التحام الجلد ليبقى علامة مميزة أخرى بما يحمل من آثار التشوه.

ومن الثابت علمياً أن البصمات هى صفات فردية محضة لا تورث، ولا تتأثر بعامل النسب، ومن هنا كانت أهميتها فى مجال تحقيق الشخصية، ويمكن استخدامها كذلك فى التعرف على شئ من صفات تلك الشخصية مثل الجنس (ذكر أو أنثى)، العمر، الحالة الصحية، الحجم (وذلك لتناسب حجم البصمة مع حجم الجسم) والمهنة وغير ذلك، والبصمات تترك آثارها على كل جسم تلمسه[38]، سواء كان هذا الجسم ذا سطح خشن أو أملس، ومن هنا يمكن الاستفادة بإبرازها فى تتبع العديد من المجرمين ومعرفة تفاصيل حدوث الجريمة.

(والبنان) تحمل بصمتها التى تعتبر ختماً إلهياً جعله الخالق ﷻ علامة جماعية فارقة للإنسان دون غيره من المخلوقات المعروفة لنا، كما جعله ميزة فردية لكل واحد من بنى الإنسان، تحدد شخصيته تحديداً قاطعاً، وتفرده عن غيره إفراداً مميزاً يتجاوز حدود الصفات الموروثة والمميزة لكل عرق ودم ولون وذلك طيلة حياته، والآية الكريمة:

﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ [القيامة]

تؤكد على إعادة بصمة كل بنان مع بعث كل ميت تأكيداً على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة فى كل من الخلق والبعث.

كما تشير إلى دقة تسوية البنان وإلى أهمية ذلك فى حياة الإنسان، وهى أهمية لم تدركها العلوم المكتسبة إلا فى مطلع القرن العشرين (**1901**) حين استخدم المحتلون البريطانيون بصمات الأصابع فى تتبع بعض مقترفى الجرائم فى الهند، ثم أصبحت وسيلة من أهم وسائل التشخيص لبنى الإنسان فى كل دول العالم.

وسبْقُ القرآن الكريم بثلاثة عشر قرناً لجميع المعارف المكتسبة وذلك بالإشارة إلى معجزة تسوية البنان فى الأحياء، ثم التأكيد على القدرة الإلهية بإعادة تلك التسوية عند البعث، لَمِمَّا يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبياءه ورسله.

---

38 بل وأمكن بالوسائل التقنية الحديث والمتطورة رفع الكثير من بصمات الأصابع حتى من على الأوراق و الملابس وغيرها مما كان يعد ضرب من الخيال العلمى المستحيل وسبحان المعلم الأعظم جل جلاله.

قيامٌ ينظرون

أيها الأخوة القراء الكرام والأخوات الكريمات ..

أبشـروا واسـتبشـروا واعلموا أن الله ﷻ أعدَّ لعباده المؤمنين المطيعين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشــر، إذا نُفخ فى الصــور النفخة الثالثة التى يقول فيها الله: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر] ... فإلى أى شــئ ينظرون؟ .. أما أهل الاصــطفاء وأهل الاجتباء فينظرون إلى وجه الله:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة].

وهؤلاء لا شأن لهم بالموقف وما فيه من عناء ولا شدة ولا عنت.

وأما المقربون فينظرون إلى ما أعدَّ الله لهم فى جنة النعيم من أنواع النعيم ومن ألطاف الكريم ﷻ:

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين].

وهؤلاء هم أهل الاصطفاء والاجتباء والمقربون لا يرون حساباً ولا صراطاً ولا ميزاناً، يقومون من القبور إلى منازلهم فى القصــــور فى جنة العزيز الغفور ﷻ!! لا ينزلون إلى الموقف إلا إذا طُلبت منهم الشفاعة فيشفعون، لأن لهم شفاعة قدَّرها لهم الحى القيوم فلكل واحد منهم شفاعة.

وأما أهل اليمين فينظرون إلى أعمالهم وينظرون إلى كتبهم وينظرون إلى ملفات حساباتهم لأنهم سـيهبطون إلى أرض الموقف، منهم من يُحاسـب حسـاباً يسـيراً، ومنهم من يُحاسـب حسـاباً عسـيراً، فالذى سيحاسب الحساب اليسير فهو الداخل فى قول الله فى كتابه المبين المنير:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [222،البقرة]

فكلما فعل ذنباً سارع إلى التوبة إلى الله، لا يوجد أحد خالٍ من الذنب! إلا الحبيب المحبوب، ولا يستطيع أحدٌ حفظ نفسه من العيب! ولكن كما قال النبى الأمين المأمون:

﴿ كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ﴾ [39]

الذين يســـارعون كما قال الله: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ [133آل عمران] فكلما وقع فى ذنب ندم على فعله! ولام نفسه على القيام به! وسارع إلى الله ﷻ تائباً منيباً، ... فإذا تاب وأناب فإن الله يُقبل عليه ويقبل توبته، وهذا الذى سيُحاسب حساباً يسيراً يوم لقاء الله ﷻ.

أما الحساب العسير فلأهل التفريط، الذين فرَّطوا فى أنفسهم فقصَّروا فى القيام بفرائض الله بدون عذر يجدونه لأنفسـهم فى شـرع الله! تركوا الصـلاة مع سماع الآذان وعدم ما يمنعهم من تلبية نداء الرحمن، أو يتباهون بالفطر فى رمضـان مع أنهم مسـلمون إن كان فى الاسـم أو فى البطاقة الشخصية!! وسارعوا فى ارتكاب المعاصى ولم يتوبوا منها إلى الله حتى توفاهم الله، فهؤلاء حسابهم عسـير ولابد لهم من التطهير!!!، والتطهير أن يصـدر لهم حكم من الله العلى الكبير فينزلون إلى سجون جهنم يقضون فيها فترة للتطهر والتطهير، ثم يمن عليهم الله ﷻ فيُخرجهم إلى الجنة بشفاعة رسول الله أو بمحض رحمة الله جلَّ فى علاه.

أما الكافرون والمشركون فهؤلاء يقومون من القبور إلى جهنم وبئس القرار! ليس لهم فى أرض الموقف حساب ولا ميزان ولا صراط، يقول الله:

﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف].

فالمقصـرون من المؤمنين هم الذين ينظرون إلى أهوال القيامة، وإلى شـدات جهنم وعذابها، وكذلك المشركون والجاحدون، أما المؤمنون المستقيمون فهؤلاء كما يقول فيهم الله:

﴿ فأما إن كان من المقربين ﴿٨٨﴾ فروح وريحان وجنت نعيم ﴿٨٩﴾ وأما إن كان من أصحب اليمين ﴿٩٠﴾ فسلم لك من أصحب اليمين ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة]

فحدِّد لنفسـك يا أخى منزلتك، واعلم علم اليقين أن هذا الربَّ الكريم قذف فى قلبك الإيمان وأمرك بطاعته وعبادته وأعانك وقواك عليها فى كل وقت وآن، ومع ذلك الذى خلقك والذى جعل فى قلبك الإيمان والذى أعانك على طاعته يجعل لك ثواباً ويجعل لك أجراً عظيماً ويجعل لك تكريماً مع أنك لم تفعل شيئاً إلا بمعونته! ولم تقدم شيئاً إلا بحوله وقوته! لتعلم عظيم نعمة الله عليك، فتشـكر الله على عطاياه وتسـتديم على طاعة الله، وتطلب من الله وأنت ما زال فيك نفْسٌ ونفَسٌ يتردد فى هذه الحياة موقفاً كريماً ومنزلاً عظيماً تنزل فيه يوم لقاء الله.

39 سنن الترمذي عن أنس.

وعند النفخة الثالثة وهى نفخة القيام: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر] .عرفنا إلى ماذا ينظرون.. ففيما يكونون؟

عندما نســـمع كلام العلماء العاديين أو نقرأ الكتب الصـــفراء القديمة نجدهم يركزون على أهوال القيامة وما يتعرض له الإنسـان حتى الرســل من هذه الأهوال! ....!!! .... من الذى قال ذلك؟! .. الذى يتحدث فى هذا الأمر إما أن يأتى بكلام من كتاب الله أو من سُنة رسول الله، لكن الذى يأتى بالإســرائليات فهذا لا شــأن لنا به، بل يجب أن ننهيه ونغلق عليه! وربما أتى المتحدث بكلام من فكره! أو إعمال عقله! ولكن هذه غيبيات ولا شــأن للفكر ولا لقدح العقل بها، فهذه الغيبيات إما أن تأتى من الله أو من رسول الله .. وكتاب الله واضح ولنستبصر معا ونتدبر ....

أهل سابقة الحسنى

الناس فى هذا اليوم أقسام: قسمان ليس لهما حساب، قسم يخرج من القبور إلى القصور, وقسم هم المقربون، وقسمان يحاسبان، قسم يحاسب حساباً يسيرا وقسمٌ يحاسب حساباً عسيرا، هذا كله غير الكافرين والمشركين والجاحدين والعياذ بالله.

ونبدأ بأول القسمين اللذين لا حساب لهما .ز جعلنا الله منهم!، وهم من يقومون من القبور ويطيرون إلى القصور فى الجنةن قال ﷺ:

﴿ إذا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ أَنْبَتَ اللّهُ تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إلى الجنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَّمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةُ: هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولونَ: ما رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنّمَ؟ فَيَقُولُونَ: ما رَأَيْنَا، فَتَقُولُ المَلائِكَةُ: مِنْ أُمّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمّةِ مُحَمّدٍ ﴾ [40]

ويقول الله تعالى فى محكم التنزيل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء]

بعيدون عن الموقف وجهنم وغير ذلك ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ لا يسمعون صوتها مع أن صوت جهنم يسمع على مسيرة خمسمائة عام كما أخبر الصادق المصدوق، إذاً أين هم؟ ... ﴿ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنبياء] .. ليس لهم شـــأن بالفزع ولا الجزع: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء] ... فهؤلاء يدخلون الجنة، ولا ينزل أحد منهم إلا إذا استأذن من الله ... وأراد أن يشفع فى أحبابه وإخوانه وأصحابه، !!! أين يكون هؤلاء فى الجنة؟ ....

كل واحد منهم على حسب منزلته ودعونا ياإخوانى نتناول لأأهل هذه المكانة العالية السامية بشيء من التفصيل ثم نعود للأقسام الأخرى بعدها، هؤلاء يقول فيهم رسول الله ﷺ:

---

40 إحياء علوم الدين، وفى تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى أنه رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف

﴿ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ. لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: بَلَى. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [41].

ما هذه الغرف؟ وصفها ﷺ كما رآها وقال:

﴿ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ أَلاَنَ الْكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ﴾ [42]

وانظر إلى ترتيب حديث المُنتقى صـــلوات ربى وســـلامه عليه! فالأول: "ألان الكلام" ثم: "وأطعم الطعام" والآخر: "وصـلى بالليل والناس نيام"، لماذا لين الكلام؟ ... وهنا نبسـط الموضـوع بتفصيل لشدة حاجتنا إليه :

لأن الإنســـان الذى كرَّمه الرحمن جعله الله ﷻ مكرماً ومعظماً بين جميع كونه، يرفع روحه المعنوية إلى أعلى الدرجات كلمة طيبة، وينزل به إلى أســفل الدرجات كلمة تثيره أو تسـيئه، ... ما الذى يُحرك كل القوى الداخلية للإنسـان؟ الكلمة، كلمة واحدة لإنسـان تجعله يقوم بخدمتك أفضـل من أولادك وزوجتك!، وكلمة واحدة تجعل الشـيطان يركبه! وتحضـر الأسـود والسـباع فيه فيصـبح وكأنه شيطان مريد أو كأنه سبع كاسر! وأول من نبَّه إلى ذلك و نوَّه إليه هو الله ﷻ:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج]

ولذلك أجاب النبى أصحابه لما سئل عما يجب أن يكون عليه مؤمنو هذه الأمة وبالذات فى أوقات الأزمات فقال:

﴿ كَالنَّحلَةِ وَقَعَتْ فَلَمْ تَفْسُدْ، وأُكِلَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ، وَوُضِعَتْ طَيِّباً وكَقِطْعَةِ الذَّهَبِ دَخَلَتِ النَّارُ فَأُخْرِجَتْ فَلَمْ تَزْدَدْ إِلاَّ جُوْداً ﴾ [43].

---

41 صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدرى.
42 (حم حب هب) عن أبي مالكٍ الأشعري (ت) عن عليَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.
43 الحديث بكامله: : «لاَ تَقُومُ السَّـــاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الفُحْش وَقَطِيْعَةُ الرَّحِمَ، وسُـــوؤُ الجَار، ويُخَوَّنَ ألامِيْنُ، قيل: يا رســـول الله، فكيف المؤمن يومئذٍ؟ قال: «كالنَّحلَةِ وَقَعَتْ فَلَمْ تَفْسُـدْ، وأُكِلَتْ فَلَمْ تُكْسَـرْ، وَوُضِعَتْ طَيِّباً (وَكَقِطْعَةِ الذَّهَبِ دَخَلَتِ النَّارُ فئاخْرِجَتْ فَلَمْ تَزْدَدْ إِلاَّ جُوْداً)» وهو عن عبد الله بن عمرو رواه البزار. ، مجمع الزوائد

فالمؤمن ... لا يخرج منه إلا بلسم وشفاء للآخرين، ولا يقف إلا على المجالس التى يشم فيها رائحة ذكر الله أو حديث رسـول الله أو كتاب الله أو كلمة طيبة تعلى همته فى الله جل فى علاه .. فإن كان غير ذلك! فما الذى يجعله يجلس فى المجالس التى تأتى بالهم والغم والنكد؟! ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [55القصص] فلا تجلس مع الجاهلين: ﴿ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [68الأنعام].

الكلمة الطيبة تأسر زوجتك وتجعلها تفديك بعينيها، إياك أن تفكر أنها تحتاج إلى مال وطعام فقط!، فالأهم من ذلك الكلمة الطيبة لأنها البلسم الشافى لها، والأب كذلك، والأم كذلك، والجار كذلك، وكل المسلمين كذلك، وكل الخلق كذلك .... !!

فلتنظر إلى السلاح الذى سلحنا به الفتاح ﷻ، الكلمة الطيبة هى سلاح المؤمنين، ولذلك كلمات المؤمن لا تخرج منه إلا إذا فكر فيها وحسبها ويرى ما فيها له ولغيره:

﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ [ق]

لابد أن يحول أولاً أى كلمة للرقابة، أى رقابة؟ الرقابة القلبية المتصـلة برب البرية، الرقابة الإلهية الصـارمة التى جعلها الله ﷻ فى القلب المملوء بالنور التام ... فإذا سمحت الرقابة القلبية يذيع!، أما إذا رفضـت فلا يخرجها من فمه ويغلقه عليها!، ولذلك أكثر أوقات المؤمن صـمت أم كلام؟ صـمت، لأنه لابد أن يزن الكلام أولاً .. فمعظم مشـاكل بيوتنا ليس سـببها الميزانيات، لأن سيدة البيت تستطيع أن تدبر البيت بأى كيفية !! ولكنها تحتاج بشدة إلى كلمة طيبة تشجعها، لكن إذا أعطيتها مالاً ومننت عليها!! وأنت ينبغى ألا تمن عليها لأنها تعمل لك ولأولادك!! فتعلمون النتيجة!!!

الكلمة وما أدراكم سـادتى ما الكلمة! لها وقع السـحر وتأثير الإكسـير .. وسـأعطيكم مثالا عن كلمة صنعت ما تعجز عنه الجبال !!

الإمام أبو حنيفة ﷺ كان له تلميذ نجيب وهو سيدنا أبو يوسف، الذى تَرَبى يتيماً، وليس لأمه مورد للرزق، فدفعته للنجار ليتعلم النجارة ليقتاتوا منها، فكان يذهب له ويهرب ليحضر مجلس العلم عند الإمام أبى حنيفة، وعندما تذهب أمه للنجار لا تجده، وتجده عند الإمام أبى حنيفة فتكلم الإمام أبا حنيفة بجفاء وهو لا يرد، وفى إحدى المرات أكثرت من الكلام فقال لها: اتركيه لى، وتحمَّل الإمام أبو حنيفة نفقاته وطلباته فى سبيل أنه لديه بغية فى طلب العلم، وذات يوم رأى الإمام أمه حزينة على ابنها، فواساها قائلا: إن ابنك هذا سيأكل الفالوذج بدهن السمسم على مائدة الملوك، وظل الغلام مع الإمام حتى كبر، ولما حانت وفاة أبى حنيفة، قال: يا سيدى أوصنى، فقال له: يا أبا يوسف إن للوطواط منياً كمنيّ الرجال!!

لو قسنا هذه الكلمات بالعقول البشرية هل تصلح هذه الكلمات وصية؟!! لا، لكنها قلوب العارفين الذين لا ينطقون إلا عن ركن ركين، وإلهام سديد متين من ربِّ العالمين، أو توجيه صريح من سيد المرسلين، وانتقل الإمام أبو حنيفة إلى جوار الله، وترك أبا يوسف عالماً ولكن فقيراً.

وكان الخليفة وقتها هارون الرشيد وكان متزوجاً من إبنة عمه السيدة زبيدة التى يؤثرها ويحبها حباً شديداً، وذات يوم دخل الخليفة غرفة نومه فوجد على السرير مَنِيَّاً فهاج وماج، واستدعى العلماء والوزراء فلم يجدوا مخرجاً من تلك الورطة وصار الأمر معضلة كبيرة فلا أحد يستطيع أن يتهم زوجته ولكن لابد من تفسير!! وتناقلت الألسنة الخبر!!.

وسمع أبو يوسف القصة!!فألهمه الله أن يتذكر وصية شيخه التى لم تغب عن باله!! يا ألله ... فأرسل فى التو للخليفة يقول: أنا عندى الحلُّ!، فاستدعوه، فدخل حجرة نوم الخليفة، وكانت بلا نوافذ، ولكن بها ناروزة (أى فتحة) فى أعلا منتصف سقف الحجرة للتهوية– فطلب سلماً وصعد عليه إلى الناروزة .. وكان ما توقَّع ... وجد فيها عشاً لوطواط وأنثاه، فأخذهما ونزل وقال للخليفة: ياسيدى إن للوطواط منيَّاً كمنى الرجال!، وكان هذا هو حلُّ القضية .. فانهالت عليه العطايا من الخليفة وزوجته، وأصبح له منزلة كبيرة حتى صار قاضى القضاة.

وذات يوم أقام الخليفة وليمة عظيمة، وفى نهايتها أتت الحلوى، فقال الخليفة: يا أبا يوسف كُلْ من هذا كثيراً فنادراً ما نصنعه!، فقال: وما هو؟ قال: الفالوذج بدهن السمسم، فلما سمع قوله أخذتة العبرة فبكى، فتعجب هارون الرشيد وسأله: لِمَ تبكى يا ابايوسف؟ قال: قد تيقنت من قبل أن أبا حنيفة صاحب بصيرة نافذة، ولا يقول قولاً إلا إذا أُلهم الحق فيه، وها اليوم قد تحقق مقولته التى بشَّر بها أمى وأنا غلام صغير! رحم الله أبا حنيفة!

فالقصة كلها على كلمتين .. كلمة أبي حنيفة لأم تلميذه وقد تحققت بعد حوالى خمسة عشرة سـنة! وكلمته لتلميذه وتحققت بعد خمس سـنوات مثلاً، ولو كان نسـاها لتغير التاريخ ! فالكلمة شديدة الخطر!، وأنا أقول لكل من يسمع كلامى أو يقرأ كتابى: ﴿ **طيّبوا كلامكم وألينوا حديثكم ، فربما عدت إلي قولك لتلعقه ! أو تقضمه ! أو تبلعه !** ﴾ .

فيجب على الإنسـان ألا يلقى القول على علاته أو على عواهنه، وبعدها يرجع ويجزع ثم يعتذر، فلماذا كل هذا؟! بل كم من الأول مع حضـرة الأول وألق الحمل عليه واجعل عليه المعوَّل، ولا تخرج من فيك إلا كلاما عرضـته على قلبك، وعرضـه قلبك على خالقك، فما وافق الصـواب والحق أمضيت ونطقت، وما جانبهما منعت وتوقفت، فتظل سيداً فى الدنيا، وكريماً عزيزاً معظماً عند الله فى الدار الآخرة، وهذا هو حال المسـلمين فى كل زمان ومكان ... فلو ضـبط المسـلمون فرامل ألسنتهم!!، هل ستقع المشاكل؟! المشاكل جلها تأتى من اللسان حين يطلق له العنان ثم بعد ذلك يأتى الندم، أنت رجلٌ أم طفلٌ صـغير؟! أنت رجلٌ والرجل لا يخرج منه فلتات لسـانه، وإنما كلامه لابد أن يكون مؤيداً من حضرة الرحمن ﷻ، ولذا كان القرآن ينزل موافقاً لكلام عمر ﷺ لأنه على النهج النبوى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم]

لو الإنسـان أمسـك هواه لنال مناه، وكان عبداً صـالحاً لا يقول إلا ما يُرضـى مولاه جلَّ فى علاه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ وإذ لم يعد هناك هوى فيكون هناك وحى!، فبالنسبة لرسول الله ﷺ فهو وحىٌ مباشر، أما بالنسبة للصالحين فيكون هذا الوحى إلهاماً أو تأييداً أو فراسة، قال رسول الله ﷺ:

﴿ إِحْذَرُوا دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ وَفِرَاسَتَهُ فإِنهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللّهِ وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللّهِ ﴾ [44]

ونعود لأهل هذا المقام العالى.. فهؤلاء سيكونون كما قال الحديث:

﴿ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي رَأْسِ العَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ، مُشْرِفُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴾ [45]

---

44 (حل) عن ثوبان رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
45 مصنف ابن أبي شيبة عن ابن مسعود.

يجلسـون عليها يشـاهدون أهل الموقف، ولا ينزلون إلا إذا كان لهم شـفاعة، وهؤلاء يجلسـون فإلى ماذا ينظرون؟ وبما يستمتعون؟

ينظرون إلى بهاء الله وجمال الله وكمال الله ونور الله وتنزلات الله جل فى علاه ... فهذا نظرهم، ويريد الله أن يُلفت النظر إلى مقامهم ويعرف الملائكة بحالهم .. فيطلب من الملائكة أن تجهز لهم الطعام والشـــراب والحور العين!، فيقولون: يارب ! لا نريد ذلك فقد تركنا هذه النعم أحوج مانكون إليها فى الدنيا، فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم :إذاً ماذا تريدون؟، فيقولون لرب العزة جلَّ جلاله:

وحقك ! لا نريد إلا جمال وجهك !!:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة]

والقسم الثانى من الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم أقلُّ درجة من القسم الأول، وهؤلاء هم أهل الاجتباء والاصطفاء، إنهم المقربون !، وهؤلاء يكون نظرهم للنعيم والتكريم الذى سينالونه فى جنة النعيم، فعندما يحييهم الله يفتح لهم أبواب الجنة: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [73،الزمر] فيشاهدون ما فيها من نعيم، ولا شأن لهم بالموقف:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر]

لا شأن لهم بالحساب لأنهم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا، كيف؟ بنص الحديث! هؤلاء هم أهل مراقبة الله، فيحاسب أحدهم نفسه فى كل قول أو عمل لأنه يرى أن الله مطَّلعٌ عليه ويراه .. فإن حاسب نفسه بصدق خفَّف الله حسابه؛ فإن زاد فى حسابه لنفسه زاد الله فى تخيف حسابه حتى يدخله بغير حساب .. لأنه ببساطة .. كلَّ ما زاد فى حسابه لنفسه فى الدنيا أنقصه الله من حسابه له فى الآخرة ... حتى يصير وقد أتمّ الحساب فعلاً فى الدنيا! فعلام يحاسبه مولاه فى الآخرة ؟ فيمَ يحاسب! أو ينصب له ميزان!، قال ﷺ:

﴿ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ [46]

وبعرض آخر نقول أنه من ترك مراجعة حسابات شركات نفسه ومملكة دنياه طبقا لقوانين مكاتب مراجعة الحسابات بهيئة الشرع الشريف! فإن هذا يأتى الله يوم القيامة بحسابات جمَّة لم تختم بخاتم المراجعة فى الدنيا فقد حقَّ على الله أن يراجع ويدقق حساباته فى الآخرة!! فيحيله مولاه إلى لجان مراجعة الحسابات الربانية.. .. فلا أحد سيدخل الجنة إلا وقد روجعت كشوف حساباته وختمت .. إما فى الدنيا .. أو فى الآخرة!

وكذلك من مشى على الصراط المستقيم فى الدنيا وهو الشرع لن يمشى على صراط الآخرة! فالذى يمشى على الصراط هناك هو من لم يمشِ على الشرع فى الدنيا، أين نجد ذلك؟ قال الله فى الحديث القدسى:

[46] سنن الترمذي عن عمر بن الخطاب.

﴿ وَعِزَّتِي لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إذا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا ، أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [47]

فلابد من الحصول على شهادة إجتياز دورة طراط الشرع الذى تعقده هيئات مرور الشرع الحنيف فى الدنيا ليعفى من إختبار إجتياز الطريق المنصوب فوق ظهر جهنم والموصل إلى الجنة فى الآخرة .. فمن جاء الآخرة ومعه الشهادة أعفى، فإن ترك المشى على طراط مولاه ومشى على طراط هواه ولم يجتز الإختبار فى الدنيا، أحاله الله إلى لجنة إختبار المرور الربانية بالآخرة.. إذ لابد من شهادة المرور ليدخل الجنَّة وإلا فلا!. فاختر لنفسك إما لجان مرور طراط الشرع المستقيم بالدنيا! أو اللجان الربانية المنصوبة مكاتبها على جنبات الطراط المقام فوق ظهر جهنم بالآخرة ..!!

أهل اليمين

أما أهل اليمين الذين سيحاسبون الحساب اليسير يكون نظرهم إلى عطف الله وحنان الله وشفقة الله ورحمة الله، فيروا هذه الأشياء ليبشرهم الله بها حتى يطمئنوا ولا يخافون من الموقف:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [98الزخرف]

لأنهم كانوا فى الدنيا يعملون الطاعات، وإذا وقع أحدهم فى معصية يبادر فوراً إلى التوبة النصوح ويندم على ما فعله وما قدَّمه، ويطلب من الله العفو والعافية ويسعى إلى نيل الغفران من حضرة الغفار ﷻ.

[47] صحيح بن حبان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ.

الحساب العسير

إذاً من الذى ســـيرى أهوال وعظائم الموقف؟ حين تدنو الشـــمس حتى تكون قريبة من الرءوس، ويرى جهنم وهى ترمى بشـرر كالقصـر، ويرى زبانية جهنم وهم يعنفوه ويوبخوه .... الذين سَيَرَوا هذه المشاكل هم المسلمون المقصرون الذين خرجوا من الدنيا وهم غير تائبين، فإنهم سيرون أهوال الموقف وأهوال الصراط وأهوال الحساب، وهؤلاء سيتم محاكمتهم، وكل واحد منهم سيأخذ حكماً يليق بعمله، ويقضى فترة العقوبة فى زنزانة فى جهنم، ثم تتداركه شفاعة سيد الأولين والآخرين، أو شفاعة الشفعاء، أو شفاعة أرحم الراحمين وتخرجه من جهنم ويدخل الجنة إن شاء الله.

أما الذين ســـيموتون من الهلع والجزع والفزع فهم الكافرون والمشـــركون والجاحدون، لأن هؤلاء سيخرجون من الدنيا إلى جهنم مباشرة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [71،الزمر].

إذاً نحن لا ينبغى أن نعمّم! ولكن نسير حسب ما وضح كلام الله، وحسب ما أفصح بيان الحبيب، فلا يجتهد أحد فى هذه الغيبيات ولا يســمع كلام الكتب الصـفراء القديمة التى كانت تركز على التخويف و الوعيد وعلى جهنم وأهوال القيامة! .. فنحن و الحمد لله من القبور إلى القصــور، ولاا شـــأن لنا بأهوال القيامة ولا بعذاب جهنم ولا غيها ... حتى من يزور أحداً يعرفه فى جهنم من أجل أن يشفع فيه إلى الله، فإن جهنم تقول له: ﴿ تَقُولُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِ: يَا مُؤْمِنُ جُزْ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي ﴾ 48

فلا شـــأن لنا بأهوال القيامة ولا بمثل ذلك لأن الله ﷻ قال لنبيه:﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [47الأحزاب]، وقال ﷺ: ﴿ يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا ﴾ 49

هذا الموضوع أردت أن أطرحه أمام إخوانى القراء الكرام حتى لا نعتد بكلام الآخرين المجانبين للصواب ولما جاء به الكتاب فى هذا الميدان، وما قلناه بفضل الله وبحمد الله هو الحق الذى نطق به كتاب الله وهو الصدق الذى بينه رسول الله ﷺ ، وكل كلام خلافه لا تنظر إليه ولا تسمعه ولا تعبأ به، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

48 ابن عديّ من حديث يعلى بن مُنَبّه، والتِّرمذيُّ الحكيم في (نوادر الأُصول)، الدرر المنتثرة
49 صحيح البخارى عن أنس ﷺ.

الفصل الثاني

فضل الله على المؤمنين يوم القيامة 52

- الداخلون الجنة بغير حساب
- أصحاب المنابر قدام العرش
- المستظلون تحت ظل العرش
- الذين تشتاق إليهم الجنة
- إكرام الله للمؤمنين عند الموت
- المؤمنين لبعضهم عند الموت
- لهم البشرى
- كيفية دخول الجنة بغير حساب
- حقوق العباد

الفَصْلُ الثَّانِي

فضل الله على المؤمنين يوم القيامة

إخوانى القراء الكرام .. أعد لعباده الصالحين عنده فى الجنة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشــــر، وزاد تعالى فضــــله علي الأمة وفاض بان أكرمهم فجعل لهم حبيبهم ﷺ الشـفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم الأهوال الحشـرية رافع لواء الحمد فى ذلك اليوم ليثبت للخلق أجمعين أنه خير البرية القائل فى حديثه فى بيان هذه الخصوصية:

﴿ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلا فَخْرَ ﴾ [50]

ويقول: ﴿ أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْر، وأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وأَوَّلُ شَافِعٍ ومُشَفَّعٍ، بيدي لِوَاءُ الحَمْدِ، تَحْتِي آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ ﴾ [51]

فكان عطاء الله تعالى لأمة النبى الخاتم ... أمة النبى الشـفيع المُشـفع صـاحب لواء الحمد، وأول من تنشق عنه الأرض! .. صاحب الحوض المورود والكوثر المشهود فى هذا اليوم الموعود عطاءً غير محدود.

أية فى كتاب الله .. وصـــف لنا رب العزة ﷻ فى كلماتها النورانية القرآنية حالنا يوم الجمع الأعظم أجمعين على حضرة الله لنتذكر هذا اليوم ونعلم ما أعد الله لنا فيه من الفضل الكبير والأجر العظيم والتكريم الذي ليس له شبيه ولا نظير فنفرح بفضل الله ونحمد الله ﷻ على عطاياه، فقال:

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر]

---

50 سنن الترمذي عن أنس.
51 رواه أحمد والدارمى وابن حبان .

الكلام عن هذا اليوم يحتاج إلى وقت طويل لا نســـتطيع أن نوفى بعضـــه فى هذا البحث القصـــير، ولكن ما أريد أن أُبينه لكم إخوانى القراء هنا هو حال الســـابقين والمقربين وأئمة المتقين وعباد الله الصـــالحين الذين نطمع أن نكون منهم أجمعين ... كيف ســـيكون حالهم فى ذلك اليوم ...!!!

الخلائق فى كرب الحساب العظيم!! والشـمس تدنو فوق الرءوس قدر ميل ولها حرارة وليس لها نور: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور] ..,. ويتمنى أهل الموقف الخلاص من أهوال ذلك اليوم ولو إلى جهنم من شـــدة ما يرونه من ضـــنك .... وهمٍّ ... وغمٍّ ... وســـوء وعذاب .... وتطاير صـــحف ... وعرق يلجم!! ... وأهوال مما يرونه مما توعد به الله ﷻ الظالمين من عذاب وعقاب جَهّزه لهم فى الموقف وفى جهنم وبئس المصـــير والملائكة تصـيح وتدعو..سَـلِّم يارَبِّ سلِّم !!.. سلِّم يارَبِّ سلِّم !!! ،............. فأيـن المؤمنون من ذلك كله؟

الداخلون الجنة بغير حساب

منا والحمد لله والشكر لله والفضل لله من يقوم من القبور إلى قصوره فى الجنة لا يرى هولاً ولا يمر على الموقف ولا يمر على الصراط ولا يرى ما فى الموقف من أنواع الحساب حتى والمعاتبات واللوم من العلى الوهاب ﷻ لمن أخطأوا فى السير على الصراط المستقيم والمنهج القويم الذي جاء به الرءوف الرحيم ﷺ وأول هؤلاء يقول فيهم الله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [سورة الزمر]

وقد تحدثنا عنهم بالفصل السابق ونورد هنا فى بيان فضل الله سؤال الملائكة لهم عن أعمالهم فتسألهم الملائكة أمام الخلائق وهم يطيرون إلى قصورهم والكل يعلم أن هذا يحدث بسر القدرة الإلهية والمشيئة الربانية:

﴿ فَتَقُولُ: نَاشَدْنَاكُمُ اللَّهَ حَدِّثُونَا مَا كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينَا فَبَلَغْنَا هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُمَا ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إِذَا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيَهُ وَنَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هٰذَا ﴾ [52]

هؤلاء يدخلون الجنة ويجلسون فى شرفات القصور ويشهدون ما يحدث فى العرض والحساب واللوم والعتاب من الله ﷻ لأهل الموقف وهم فى الجنة يقول الله ﷻ فيهم وفي شأنهم:

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝٢٦ ﴾ [المطففين]

---

52 إحياء علوم الدين، وطبقات الشافعية الكبرى، وتخريج أحاديث افحياء للعراقى

إذاً هناك قوم يقومون من القبور إلى القصور ولا شأن لهم بالحساب ولا العذاب ولا السؤال ولا الميزان ولا الصراط وهم الذين كانوا يخشون الله فى السر والعلن وفى الخلأ والملأ ويرضون بالقليل من الحلال الذي قدَّره لهم الرزاق فلا يحاولون أن يستزيدوا من الأرزاق بطريق حَرمَّهُ الله ونبي الله، ومنهم قوم تعرضوا فى الدنيا للمحن والبلاء والفتن فصبروا على أمر الله ولم يشكوا الله جل فى علاه إلى خلق الله، وليس معنى ذلك أن يتركوا السعى فى إزالة هذه الأسباب لكنهم يسعون فى إزالة أسباب البلاء ثم بعد ذلك يرضون بما قسم الله لهم من الخير والعطاء وهؤلاء يهبطون إلى أرض الموقف فينادى منادى الله ﷻ: أين أهل البلاء؟ فيقومون فينشر للقوم لواء ويؤمر بهم إلى الجنة، قال حبيبي وقرة عيني ﷺ:

﴿ يَوَدُّ أَهْلُ العافيةِ يومَ القيامةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بالمقاريضِ ، مِمَّا يَرَوْنَ من ثوابِ أهلِ البلاءِ ﴾ [53]

53 عن جابر ﷺ، سنن الكبرى للبيهقي

أصحاب المنابر قدَّام عرش الرحمن



ومنهم قوم آخرون يجعل الله لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن!! يحزن الناس ولا يحزنون ويفزع الناس وهم الآمنون !! يرفعهم الله ﷻ على منابر من نور قدام عرشه وبعد أن يجتمعوا كلهم .. يخاطبهم رب العزة و يقول لهم:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ ﴾ [الزخرف]

هؤلاء القوم يقول فيهم سيد القيامة وسيد الدنيا وسيد الأنام ﷺ:

﴿ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِقُرْبِهِمْ وَمَقْعَدِهِمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّى، وَقَبَائِلَ مِنْ شُعُوبِ أَرْحَامِ الْقَبَائِلِ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ يَتَوَاصَلُونَ بِهَا، وَلاَ دُنْيَا يَتَبَاذَلُونَ بِهَا، يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ، يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ نُوراً، يَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قُدَّامَ الرَّحْمَنِ تَعَالَى، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلاَ يَفْزَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلاَ يَخَافُونَ ﴾، ثم تلى قول الله ﷻ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾ [يونس] ﴾ [54]

الذين يكونون على منابر اللؤلؤ و النور قدام العرش ولا يصيبهم فزعٌ ولا هلع ويسمعون خطاب البشرى والأمان من الرحمن – من هم؟

هم الذين يتحابون فى الله لا لدنيا يتواصلونها فيما بينهم ولا لأنساب يتعارفون بها فيما بينهم ولا لتجارات يتداولونها فيما بينهم وإنما كان حبهم لإخوانهم المؤمنين فى الله ولله وفيهم يقول أيضاً رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ وِلايَةَ اللهِ ﴾ [55]

54 (حم طب هق) في الأَسْمَاءِ عن أبي مالك الأَشعري رضيَ اللَّهُ عنهُ.
55 سنن أبي داوود عن أبي أمامة.

المستظلُّون تحت العرش

وهناك قوم آخرون يكونون تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله وهم كثيرون، أشتهر فيهم حديث البخارى ومسلم الذى ضمَّ سبعة منهم، وضم الأئمة الكرام إليه بقية الأحاديث التى أوصلوها إلى حوالى سبعة وسبعين يكونون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، وقد بين رسول الله ﷺ صفات المؤمنين الذين يكونون فى ظل عرش الرحمن حيث يقف الناس فى أرض المحشر تدنو الشمس من رؤوسهم قدر ميل فيغطون فى العرق حتى يصل مع بضهم إلى أذنيه وفمه، ومن أهل ظل العرش على سبيل المثال لا الحصر .. وأسوق هنا بشرى عظيمة أنه لايكاد يخلو مسلم أو مؤمن من صفة من الصفات التى تؤهله للوقوف تحت ظل العرش فقد وسعها ﷺ على أمته فشملت الفروض والأخلاق والمهن فبشرى لنا فمنهم:

1- السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله:

﴿ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ﷻ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ﴾[56]

2- المتحابون فى جلال الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلِّي ﴾[57]

3- من أنظر معسراً أو وضع عنه:

﴿ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ ﴾[58]

---

56 متفق عليه الفتح **35/4** ومسلم **715** عن أبى هريرة رضي الله عنه.

[57] رواه مسلم رقم الحديث **1988**، عن أبى هريرة.

58 رواه مسلم ورواه الحاكم وابن ماجة، عن أبى اليسر كعب بن عمرو رضي الله عنه

4- المتصدقون:

﴿ كلُّ امرئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتَّى يُفْصَلَ بينَ النَّاسِ أو حتى يحكم بين الناس، ثم قال وكان أبو الخير الذى سمع الحَديث من رَاويه عن رسول الله لا يخطئه يوم إلا تصدق بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا ﴾ [59]

5- من فرج الكربة أو أحيا السنة أوأكثر الصلاة على النبى:

﴿ ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيا مة: من فرج عن مكروب من أمتي وأحيا سـنتي وأكثر الصلاة علي ﴾ [60]

6- واصل الرحم، والمرأة المنقطعة لأولادها، وطاعم اليتيم:

﴿ ثَلاثَةٌ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: وَاصِـلُ الرَّحِمِ يَزِيدُ اللَّهُ فِي رِزْقِهِ وَيَمُدُّ فِي أَجَلِه، وَامْرَأَةٌ مَاتَ زَوْجُهَا وَتَرَكَ عَلَيْهَا أَيْتَامًا صِـغَارًا فَقَالَتْ: لا أَتَزَوَّجُ، أُقِيمُ عَلَى أَيْتَامِي حَتَى يَمُوتُوا أَوْ يُغْنِيَهُمُ اللهُ، وَعَبْدٌ صَنَعَ طَعَامًا فَأَضَافَ ضَيْفَهُ وَأَحْسَنَ نَفَقَتَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ الْيَتِيمَ وَالْمِسْكِينَ فَأَطْعَمَهُمْ لِوَجْهِ اللهِ ﷻ ﴾ [61]

7- أهل الخوف من الله فى الدنيا والذين لا يحبون الشهرة:

﴿ أَهْلُ الْجُوعِ فِي الدُّنْيَا هُمُ الَّذِينَ يَقْبِضُ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا، أَخْفِيَاءُ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفُونَ فِي السَّمَاءِ، إِذَا رَآهُمُ الْجَاهِلُ ظَنَّ بِهِمْ سُقْمًا وَمَا بِهِمْ سُقْمٌ إِلا الْخَوْفَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، يَسْتَظِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ ﴾ [62]

8- الذين لا يبخسون الحق لهم أو عليهم:

---

59 رواه أحمد فى المسند (**147/4**)
60 روى الديلمى عن أنس مرفوعاً شرح الزرقانى على الموطأ
61 رواه الديلمي وأبو الشيخ والأصبهانى عن أنس ؓ.
62 والدَّيلمي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل .

﴿ أَتَدْرُونَ مَن السّـابِقُونَ إِلَى ظِلّ الله ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قالوا: الله ورسـوله أعلم، قال: الذينَ إِذَا أُعْطُوا الحَقّ قبلوهُ، وَإِذا سُئِلُوهُ بَذلوهُ وَحَكَمُوا للنّاس كحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ ﴾ [63]

9- أهل الخلق الحسن:

﴿ أَوْحى اللَّهُ إلى إِبْراهِيمَ، يا خَلِيْلِي، حَسِّــنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الكُفّار تَدْخُلْ مَدْخَلَ الأَبرَار، وإِنّ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ: أَنْ أُظِلّهُ تَحْتَ عَرْشِي، وأَنْ أَسْقِيْهِ مِنْ حَظِيْرَةِ قُدْسِي. وأَنْ أُدْنِيْهِ مِنْ جِوَارِي ﴾ [64]

10- أهل الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد.. ومن منا لم يتوضأ على المكاره فى الشتاء أو من لم يمش إلى المساجد عشاءاً أو فجراً!!:

﴿ ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَظَلَّهُ اللَّهُ تَحْتَ ظِل عَرْشِــهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: الْوُضُــوءُ عَلى المَكَارِهِ، وَالمَشْيُ إلى المَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ، وَإِطْعَامُ الْجَائِعِ ﴾ [65]

11- حملة القرآن الكريم:

﴿ أَدبُوا أَوْلادَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَـالٍ: حُبِ نَبِيكُمْ، وَحُبِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِل اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَوم لا ظِلَ إِلاَّ ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وأَصْفِيَائِهِ ﴾ [66]

12- التاجر الأمين – ويلحق بهم أهل الأمانة فى كل مهنة فأى مهنة فيها بيع وشـراء – والحاكم العادل والمحافظ على الصلاة فى وقتها:

﴿ ثَلاثَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ تَعَالَى يَوْمَ لاَ ظِلَ إِلاّ ظِلُّهُ: التّاجِرُ الأَمِينُ، وَالإِمَامُ الْمُقْتَصِـدُ، وَرَاعِي الشّمْسِ بِالنّهَارِ ﴾ [67]

13- المؤذّنون: وهم الذين يرفعون الآذان للصـــلاة، يظهر فضـــلهم يوم القيامة ، وعند الحشـر يجعل الله سبحانه للمؤذنين أعناقاً أطول من أعناق أهل المحشـر جميعاً فيشـهدون الجميع كما كانوا يسمعون الجميع:

﴿ الْمُؤَذّنونَ أَطْوَلُ النّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ [68]

---

63 رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها.

[64] رواه الطبرانى: ترغيب المنذرى.

65 قال فى الفتح: عن جابر رواه أبو الشيخ فى الثواب، والأصبهانى فى الترغيب.

66 عن على، شرح الزرقانى على الموطأ والفتح الكبير وعزاه أيضاً إلى الشيرازى ومسند الفردوس ورواه ابن النجار.

67 (ك) في تاريخِهِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

68 عن معاوية ﷺ رواه مسلم .

الذين تشتاق إليهم الجنة

وهناك قوم إذا وقفوا فى أرض الموقف العظيم سا رعت الجنة بجمالها وقصورها وحورها وحللها إليهم وتقربت منهم وفتحت لهم قصـــورها واســـتقبلتهم حورها وتقربت إليهم وازدلفت إليهم وفيهم يقول الله ﷻ:

﴿ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ﴿٣١﴾ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ق]

قال فى بعضهم صلوات ربي وتسليماته عليه:

﴿ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٍ وَسَلْمَانَ وَأَبِي ذَرٍ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﴾ [69]

ومن على شاكلتهم ومن سار على نهجهم ودربهم ومن تخلق بأخلاقهم فإن له نصيب فى أن الجنة هى التى تأتى إليه لتستقبله وتفتح له أبوابها لأنه خشـى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، إذاً يكون المؤمنون فى عناية الله وفى رعاية الله وفى رحاب جنة الله لا يحسـون يوم القيامة بعناء ولا شـقاء بل لا يحسون يوم القيامة بطول الموقف مع أن الله يقول فى شأنه:

﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج]

هذه الخمسون ألف سنة يقول فيهن أهل العلم بالله تعالى :

﴿ وَيَخِفُّ عَلَى الصَّالِحِينَ حَتَّى يَكُونَ كَصَلاةِ رَكْعَتَيْنِ ﴾ [70]

لما يجدونه من عناية الله ومن رعاية الله ومن خصـوصـية الله لهم لأنهم فى الدنيا أقاموا الصـلاة وأتموا فرائض الله وحفظوا أنفسهم وجوارحهم من معاصى الله واستعدوا لهذا اليوم فتزودوا كما أمرهم الله بزاد التقوى وهو خير زاد أمرنا بالتزود به الله جل فى علاه.

---

69 ابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه.
70 : الفواكة الدواني شرح رسالة القيرواني ، وإعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين

إكرام الله للمؤمنين عند الموت

إن من ذكرنا بعض شـــأنهم فى الدار الآخرة من الصـــالحين المُبرَّزين و المتقين المكرمين فأول تكريمهم يبدأ من هاهنا من الموت فقد قال ﷺ فيهم:

﴿ الْمَوْتُ تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ ﴾ [71]

إن أول بشرى تقدم من الله للعبد المؤمن عند موته أن يختار للمؤمن أن يموت على حالة طيبة أو فى أوقات صـالحة طيبة فمن المؤمنين من يتوفاه الله عقب آداء الطاعات كمن يموت عقب صـيام رمضــان أو عقب آداء فريضــة الحج او العمرة، أو عقب عمل صـــالح قدمه لمولاه وهؤلاء هنيئاً لهم هذه الموتة لأن الله يتوفاهم صالحين ويدخلون فى قول النبيين:

﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف]

وقد ورد فى الآثار التى تناقلتها الفقهاء والعلماء:

﴿ من مات عقب رمضان أو عمرة أو غزو أو حج مات شهيداً ﴾ [72]

وقد يكرمهم الله بالموت فى أيام طيبة كيوم الجمعة فقد قال فيه ﷺ:

﴿ مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وُقِيَ عَذَابَ الْقَبْرِ ﴾ [73]

ومن وقى من عذاب فتنة القبر فقد وقى من عذاب يوم القيامة وقد وقى من دخول جهنم ودخل فى قول الله ﷻ:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام]

وقد يكرم الله المؤمن فيموت على حالة طيبة كمن يبتليه الله ﷻ بشيء من الأشياء التى ترفع المؤمن عند موته إلى درجة الشهادة أى تجعله يموت شهيداً عند الله وما أكثر الشهداء فى زماننا هذا الذين ينطبق عليهم حديث رسول الله ومصطفاه حيث قال صلوات ربي وتسليماته عليه:

---

71 رواه الطبرانى بإسناد جيد.
72 قاله جمع عن الحسن رضي الله عنه، فتاوى ابن حجر الهيثمى.
73 رواه أبويعلى عن أنس بن مالك.

﴿ مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهَادَةٌ وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ وَالْحَرَقُ شَهَادَةٌ وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ وَالْمَغْمُومُ يَعْنِي الْهَدِمَ شَهَادَةٌ وَالْمَجْنُونُ شَهَادَةٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْغَرِيبُ شَهِيدٌ ﴾[74]

والحديث السابق هو حديث انتشر بين الناس فى توسيع دائرة الشهادة، فكما قلنا فى أصحاب ظل العرش من إنه لا يكاد يخلو مسلم بفضل الله تعالى من أن يكون صاحب إحداها، فإنى هنا بحمد الله وبركة رسوله ﷺ على الأمة أبشر المسلمين ببشرياته أنه ﷺ وسَّع دائرة الشهداء لأمته حتى ندر من مات منهم ولم يعد عند الله شهيداً؛ إلا من مات من المسلمين على كبيرة مع إصرار وبلا توبة أو من أوقعوا أنفسهم تحت سيف حقق العباد يوم التناد باستحلالهم الحقوق حتى ولجوا الشقوق !! ولذلك فسوف أذكركم نهاية الفصل بهذا الخطر الداهم والشر الجاثم.

وعدَّد العلماء الأجلاء أصناف من يعتبرون أو يحسبون من الشهداء للذكر لا الحصر – علماً بأنه لا تجرى عليهم أحكام الشهداء فى الدنيا فهم يعاملون بالأحكام المعروفة للموت– فسوى قتيل الحرب والمعركة نذكر:

﴿ المطعون والغريق، والمبطون (بمرض البطن عموما)، و المجنون، وصاحب الحريق، والميت تحت الهدم، والمرأة تموت بالولادة (وصححه النووي)، وصاحب السل (أحمد والطبراني) ، والغريب وصاحب الحمى (الديلمي)، و الملدوغ، ومن افترسه الوحش، والشريق والخار عن دابته، والمتردّي من جبل (الطبراني وغيره)، ومن قتل دون ماله أو دمه أو دينه أو أهله (أصحاب السنن الأربعة)، ومن قتل دون مظلمة (أحمد والنسائي)، والميت في حَبْس ظلماً (ابن منده)، ومن عشق فكتم فعف (رواه الخطيب الديلمي)، والميت يطلب العلم (البزار)، ومن أصابه القيىء في البحر(أبو داود)، والمرابط يموت (ابن حبان)، و من صبر في الطاعون (ومثله أوبئة الجموع) وإن لم يمت به، وأمناء الله تعالى على خلقه قتلوا أو ماتوا (أحمد)،

74 صحيح ابن حبان عن أبي هريرة،النفساء: أي التى ماتت أثناء الولادة أو عقبها، الغريب أى: أي الذي مات بعيدا عن بلده وبعيداً عن بيته..

ومن قرأ حين يصبح أو يمسى ثلاثاً أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم والثلاث آيات آخر الحشر ومات في يومه أو ليلته (الترمذي)، ومن مات على وصية (ابن ماجه)، ومن صلى الضحى وصام ثلاثاً كل شهر ولم يترك الوتر (أبو نعيم)، ومن قال حين يصبح أو يمسى: اللهم إني أشهدك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب غيرك، ومات في يومه أو ليلته (الأصبهاني وغيره)، ومن دعا في مرضه: بأن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت الظالمين أربعين مرة ومات في مرضه ذلك وإن برئ برئ وقد غفر له جميع ذنوبه (الحاكم)، ومن مات عقب رمضان أو عمرة أو غزو أو حج (جمع عن الحسن)، ومن سأل الله الشهادة بصدق وإن مات على فراشه أخرجه (مسلم وغيره)، ومن مات على وضوء (الآجرى) ﴾ [75]

إذاً فما أكثر شهداء هذه الأمة الذين رحمهم الله بما ألهم به رسولها فى حديثه لأنه ﷺ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [3-4النجم]، وفى نهاية بيانى لكم أميط اللثام عن أعظم بشريات إكرام الله للمؤمن عند الموت وأتمَّ بشريات الشهادة بوضوح وجلاء وإنا على يقين أننا سوف ننالها جميعا إنشاء الله بلا عناء لأننا أتباع رئيس الأمناء وسيد الأنبياء:

﴿ مَنْ مَاتَ مَرِيضاً مَاتَ شَهِيداً وَوُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَغُدِيَ وَرِيحَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ [76]

﴿ كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد ﴾ [77]

ولكن البشرى لا تنسينا الحذر لأنه ﷺ جعل بشراه للمسلم والمؤمن وقال وقال، مما يعنى أنه لابد أن ياقى أحدنا ربه محافظا على الفرائض مبتعداً عن المعاصى .. حتى يمنَّ الله عليه فيجعله من أصحاب هذه المراقى.

---

75 بتصرف عن فتاوى ابن حجر الهيثمي وغيرها.

76 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سنن ابن ماجه وغيرها

77 وروى الحسن بن علي الحلواني في «المعرفة» بإسناد حسن من حديث على، فتح الباري شرح صحيح البخاري

شفاعة المؤمنين لبعضهم عند الموت

فإذا مات مثل هذا المؤمن المحافظ على فرائض الله والمحافظ عن البعد عن معاصى الله وصلى عليه إخوانه المسلمين فيا بشراه واسمعوا إلى الحديث الذي يبشرنا فيه ﷺ أجمعين إذ يقول:

﴿ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ شُفِعُوا فِيهِ وَالأُمَّةُ أَرْبَعُونَ إِلَى مِائَةٍ ﴾ [78]

فإذا لم نجد الأربعين نطبق عليه النص الآخر من كلام الصادق الوعد الأمين الذي يقول فيه:

﴿ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ ﴾ [79]

فإذا شهدنا له بالصلاح والتقى فياهناه فقد كان ﷺ جالساً بين صحبه كما ورد فى صحيح البخارى ومسلم رضى الله عنهما:

﴿ أن أصحاب رسول الله مَرُّوا بجنازةٍ فأَثْنَوا عليها خيراً، فقال النبيُّ ﷺ وَجَبَتْ، ثمَّ مَرُّوا بأُخرى فأَثنَوا عليها شَرّاً، فقال: وَجَبَتْ فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: ما وَجَبَتْ؟ قال: هذا أَثنيتُم عليهِ خيرا فوَجَبتْ لهُ الجَنَّةُ، وهذا أثنيتُم عليهِ شرّاً فوَجَبتْ لهُ النارُ، أنتم شُهَداءُ اللهِ في الأرضِ ﴾

لمن نشهد يا رسول الله؟ ... قال صلوات ربى وتسليماته عليه:

﴿ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ - أي يواظب على صلاة الجماعة فى المسجد - فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ ﴾ وفى رواية ﴿ فاشهدوا له بالصلاح ﴾

ربما يقول البعض كما نسمع فى زماننا إنه يصلى بيننا فى المسجد ولكنه إذا خلا فعل كذا وكذا .. ذكر لنا هذا الشيء نبينا ﷺ عندما قال أخبر إذا كان يوم القيامة ودعى الشهداء وكشف الله لهم عن عمل العبد وسألهم أن لم شهدتم على عبدي وهو كما كشفت لكم الآن؟ أجابوا مولاهم: أنت الذي علمتنا ذلك ياألله، فيقول: وأين ذلك؟ فيقولون: وجدنا ذلك فى قرآنك عند قولك لنا: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يوسف]، قال ﷺ:

---

78 جامع الأحاديث والمراسيل عن أبي المليح .
79 رواه الترمذي عن مالك بن هبيرة.
80 سنن الترمذي عن أبي سعيد.

﴿ إذَا مَاتَ الْعَبْدُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَـرّاً، وَيَقُولُ النَّاسُ خَيْراً، قالَ اللَّهُ ﷻ لِمَلائِكَتِه: قَدْ قَبِلْتُ شَـهَادَةَ عِبَادَي عَلى عَبْدِي وَغَفَرْتُ لَهُ عِلْمِي فِيهِ ﴾ [81]

جعل الله ﷻ المؤمنين يرحمون بعضـهم البعض ويشـفعون فى بعضـهم البعض فإذا صـلينا على مسلم صلاة الجنازة كانت شفاعة منا له عند الله يجعل الله له بها الجنة مثواه ومأواه ويعطينا بعد ذلك أجراً عظيماً قيراطاً من الأجر، الذى عرفه لنا رسول الله أن القيراط فى الجنة كجبل أحد.

فإذا شيعناه إلى مثواه الأخير يقول فى ذلك البشير النذير:

﴿ إنَّ أَوَّلَ مَا يُتْحَفُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ابْشِرْ فَقَدْ غُفِرَ لِمَنْ تَبِعَ جَنَازَتَك ﴾ [82]

فإذا حملناه ، فكل من يشارك فى الحمل ولو للحظة له قيراط فى الجنة ، فإذا عزينا أهله جعل لنا من الأجر مثل ما لهم لقوله ﷺ:

﴿ مَنْ عَزَّىٰ مُصَاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ﴾ [83]

فضـلاً من الله وإكرام من الله ورحمة من الله وشـفقة من الله لهذه الأمة المرحومة التى يرحم الله بعضها ببعض.

---

81 رواه البزار

82 ابن أبي الدُّنيا عن أبي عاصم الخبطي رضيَ اللَّهُ عنهُ

83 (ت هـ) عن ابنِ مسعُودٍ رضَي اللَّهُ عنهُ.

لهم البشرى

ولذا فأينما تولى يامسلم تجد فضل الله ورحمة الله وعطف حبيبه ورسوله فأُبشِّروا إخوانى المسلمين، والمؤمنين أجمعين، بما أعدَّه الله ﷻ لنا فى الدار الآخرة، بل وإن الفرح بهذا الفضل وتلك المنة ليس ترفا أو نسيانا للآخرة وأن المؤمن يجب أن يكون تعيسا أو مكشِّراً وحزينا ولا كاسف البال وخائف وجل، لا إنه أمر إلهى لنا أن افرحوا واسعدوا بفضلى عليكم:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس].

وآخذ لكم الآن منحى آخر لأسوق لكم البشريات من الله ...

كثير من الناس مشغول ياإخوانى القراء الكرام والأخوات الكريمات مشغولٌ بالعبادات والطاعات، ويظن أنه يبلغ بها أعلى الدرجات وأرفع المنازل فى الجنات، وأصحاب رسول الله كانوا كذلك فى البداية، ولما وجدهم ﷺ مشغولين بالطاعات والعبادات والنوافل، وظنوا أنها هى التى تدخلهم الجنة، وتنيلهم المنازل العالية فى الجنة، قال لهم:

﴿ مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ﴾ [84]، وفى رواية: ﴿ إلاَّ أن يتغمدنى الله برحمةٍ منه وفضل ﴾.

معنى هذا أننا عندما ننظر إلى ما نعمله من عمل، إذا جرَّدناه من معونة الله وتوفيق الله ماذا يبقى لنا من العمل؟ كلنا صلينا الآن مَنْ الذى حرَّك الأعضاء؟ ومَنْ الذى حرَّك اللسان بالذكر وتلاوة القرآن؟ ومَنْ الذى فكَّر المرء منا بموعد الصلاة، وجعله يستعد ويتهيء وغيره جالس فى المقاهى وغيرها، يسمع الآذان والنداء ولا يستطيع أن يلبى لأن جسمه متجمد، لا يستطيع أن يتحرك إلى بيت الله جلَّ فى علاه؟

مَنْ الذى أعاننا على ذلك كله؟ ربُّ العالمين ﷻ.

---

[84] رواه الطبراني عن أسامة بن شريك.

إذاً عندما ينظر المرء إلى الطاعة، لا يفرح بالطاعة إلاَّ إذا نظر أولاً إلى مَنْ الذى وفَّقه لهذه الطاعة، حتى يشكر الله ﷻ على التوفيق لهذه الطاعة. هل يستطيع أَحَدٌ – من الذى يستطيع أن يشكر الله على نعم الله وتوفيق الله جلَّ فى علاه؟

من أجل ذلك وجَّه الله نظرنا بأن نفرح أولاً بفضل الله وبرحمة الله، وأول فضلٍ تفضَّل علينا به الله، مَنْ مِنَّا شق قلبه وكتب فيه الإيمان؟ هل هناك أحد اختار لنفسه الإيمان؟ من أين هذا الإيمان؟!!:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات]

مَنْ منا يا إخوانى كتب فى قلبه لا إله إلاَّ الله مُحَمَّدٌ رسول الله؟ مَنْ الذى كتب لنا جميعاً؟ نسأل القرآن:

﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ – من الذى كتب؟ ربُّ العزة، ولم يكتب فحسب وإنما – وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [22،المجادلة]

أعطانا الرُّوحَ التى جعلتنا متعلَّقين بالمسجد، ونريد أن نصلى، ونحبُّ سماع القرآن، ونريد أن نحج ونود زيارة النَّبِىِّ، ونريد أن نتفقه فى الدين!! فالأمر كلُّه فضل الله، وتوفيق الله، ورحمة الله، جلَّ فى علاه.

هذا الفضل والإكرام خصَّ الله به هذه الأمة من أجل رسول الله ﷺ، ولذلك يروى لنا الخبر الوارد فى الأثر: أنه سبحانه لما خَلَقَ الأمم فى الأزل القديم، وأراد أن يكتب الأقدار –كل أمة ما تقديرها عند الله؟ وما نظامها فى العرض والحساب؟ فقال سبحانه للقلم أن أكتب أمة آدم: مَنْ أطاعنى دخل الجنَّة ومن عصانى دخل النار، ما اسم هذا الحساب؟ بالعدل، ربُّنا ﷻ اسمه: الحَكَمُ العَدْل–. فسيحاسبهم بالعدل ففى (25 آل عمران):

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

ليس هناك ظلم، أمة نوح .. أمة إبراهيم .. حتى وصـــل إلى أمة مُحَمَّدٍ ﷺ، فظنَّ القلم أن الأمر ثابت، والعدل سيسرى على الكل، فأراد القلم أن يكتب، فقال الله: اسكت يا قلم، فقال القلم: ماذا أكتب؟ قال: اكتب أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وربٌّ غَفُور ولذا سجَّل الله هذا الشرف والفضل فى الجنة:

﴿ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلاثَةَ أَسْطُرٍ بِالذَّهَبِ: السَّطْرُ الأَوَّلُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَّفْنَا خَسِرْنَا، وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [85]

هذه الأمة دون سواها، الخَلْقُ الأولون كلهم أتباع المائة والأربعة والعشرون ألف نبى بالعدل، كل واحد ملفاته توضـــع فى القضـــاء الإلهى: ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [47الأنبياء]، أما هذه الأمة فبالفضل وليس بالعدل، كيف ذلك؟ مقتضى العدل آخر أمة جاءت إلى الدنيا، أمة رسول الله ﷺ، فتكون آخر الطابور فى الحساب، ولكنه قال:

﴿ نحنُ الأولونَ والآخرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ ﴾ [86]

آخر الناس فى الدنيا ولكننا أول الناس فى الحساب، حتى لا نمكث فى الحساب طويلاً، وهذا لمن يذهب للحساب وهم قلَّة قليلة، ولذلك ورد فى الأثر أن رسول الله قال ﷺ سأل ربه أن ياربى لِمَ جعلت أمتى آخر الأمم؟ قال: حتى لا يطول مكثهم فى القبور، وحتى يطلعوا على مساوىء الأمم ولا يطلع على مساوئهم أَحَدٌ غيرى.

عرفنا ما عمله قوم نوح وبنو إســـرائيل وقوم لوط وغيرهم، أما نحن، فمن الذى ســـيعرف ما عملناه؟ لا أحد إلاَّ الصـــبور ﷻ. متى نحاســـب؟ الأول قبل جميع الأمم، مَنْ أول مَنْ يدخل الجنة؟ نحن، لأن الله خصَّنا بفضله وبرحمته، وقال لنا افرحوا بفضل الله وبرحمته ... يأتى فى الحساب –كل السابقين بما فيهم الأنبياء والمرسلون، يخشون من أن يحاسبوا حساباً عاماً أمام الأنام، وهذه فضيحة اسمها الخزى، فكان ســـيدنا إبراهيم أبو الأنبياء بنفســـه يدعو ربه ليل نهار ويقول: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ويدعو لمن؟ لنفسه فقط! لم يجمع معه أولاده وهم أنبياء ولا أمته ولا زوجه، ولا أحد:

[85] الرَّافعي وابن النَّجَّار عن أَنَسٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
[86] عن أبي هريرة رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق، سنن الكبرى للبيهقي

﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴿٨٧﴾ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴿٨٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء].

ولكن الله جمعنا نحن أمة رســول الله ﷺ وقال أن هؤلاء من أجل النَّبِيّ، من غير ما يطلبوا ولا يسألوا – ليس لهم شأن بالخزى والفضيحة:

﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين ءامنوا معه ﴾ [8، التحريم]

ليس النَّبِيُّ بمفرده، وإنما النبى وكل المؤمنين الذين معه .. فيابشرانا!!

كيفية دخول الجنة بغير حساب

وكما بينا آنفا فيوم القيامة سيكون الناس طوائف: طائفة وهى أغلب هذه الأمة، يخرجون من القبور إلى القصـــور، بمجرد أن ينفخ إســـرافيل نفخة القيامة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [68،الزمر]. يقوم الواحد منهم فتأتى ملائكة الرحمة ومعهم ثياب الجنة، وشراب طهور من الجنة، وطيبات من الجنة، ويزفوه حتى يدخلونه الجنة..

ونتناول هنا بابا آخر من أبواب البشـــريات .. يأيها الإخوان الكرام! مَنْ الذى يدخل الجنة وليس له شأن بالحساب؟ اسمعوا معى كلام الله:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ ﴾ [الزمر]

هم الجماعة الذين صبروا فى الدنيا ... وهنا كل البشرى والهنا ... فكثير من الناس لا يفطن، يقولون: نحن مؤمنون وموحدون ومطيعون لله، وأهل الكفرربنا موســع لهم الأرزاق، ونحن مضـيق لنا الأرزاق والأقوات!!. يظنون أنها نعم، لا بل هى فتن، ولن يُعْطَى أحدٌ من هذه النعم مثل ما أعطى سيدنا سليمان عليه السلام، سخر الله له الريح وسخر له الجن وكل شىء، ولما سخر الله له كل ذلــك قــال: مــا هــذا يا رب؟ قــال: هــذا فضـــل، قــال: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي – إنه ابتلاء – ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [40النمل].

هؤلاء الناس جعل الله جنتهم فى الدنيا – ليس لهم جنة غيرها – ولذلك روت الآثار عن الحبيب ﷺ أن الله إذا أبغض عبداً وسَّع عليه فى معيشـته وأصـح له جسـمه وحاسـبه على ذلك بمثاقيل الذر، حتى لا يبقى له حسـنة يطالبه بها، فإن بقى له حسـنة يطالبه بها خفَّف عنه سـكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس له حســنة يطالبه بها، فيأخذ أجره فى الدنيا وليس له فى الآخرة شىء! أما نحن فابتلانا فى الدنيا؟ ليمتحننا، فالإيمان له امتحان:

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم – لماذا؟– فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذبين ﴾ [2–3العنكبوت].

لابد من الإبتلاء. لو كان هذا الإبتلاء كما يظن بعض الخلق الجهلاء – إذا ابتلى الله أحداً فى ماله أو عياله أو فى نفسه يقولون أن ربنا غضبان عليه – وهل كان الله ﷻ غضبان على الأنبياء؟ من أشد الناس بلاءاً؟:

﴿ إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ﴾ [87]

وأشد الأنبياء بلاءاً سيدنا رسول الله ﷺ، هل كان هذا غضب من الله؟ حاشا، وإنما يريد أن يزيده فى الأجر والثواب، ويريد أن يرفعه إلى أعلى المنازل فى الجنة عندما يرجع إلى الكريم الوهاب ﷻ. ليس معنى هذا أن أطلب من الله البلاء، بل أسـأل الله العفو والعافية، وإذا جاء البلاء أزيله قدر استطاعتى، وإذا لم استطع فأسلِّم الأمر لله وأرضى بقضاء الله.

لكن لا اسـتكين من البداية وأقول هذا بلاء من الله فحسـب!. فإذا مرضـت أذهب إلى الطبيب، وأتناول الدواء، وأسأل الله الشفاء، وهذا هو المطلوب. قد أذهب إلى الطبيب وأنسى أن أسأل الله الشفاء، لا، بل أذهب إلى الطبيب وأسأل الله الشفاء. وبذلك أكون قد أخذت بالحسنيين كما قال النَّبىُّ صلوات الله وسلامه عليه، فربنا قدر لنا فى الدنيا بأن كل واحد منا له شىء، وقال لنا اسمعوا هذا منهجكم، قال تعالى فى (155–156البقرة):

﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصبرين الذين إذا أصبتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

---

87 رواه أحمد والطبراني في الكبير

هؤلاء الناس يوم القيامة – من أتى له أى بلاء وصــبر عليه، ومن منا لم يصــب بأى بلاء؟!! بل كلنا إنها ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ ﴾ [الزمر]، منهم من يخرج من القبور إلى القصور مباشرة، ومنهم من يذهب إلى الموقف وينصب له لواء – يعنى عَلَم – كما قال ﷺ:

﴿ يُؤتَى أهلُ البلاءِ فلا يُنصبُ لهم ميزانٌ، ولا يُنصبُ لهم ديوانٌ، فيُصبُّ عليهمُ الأجرُ صبّاً، حتّى إنّ أهلَ العافيةِ ليتمنّونَ في المواقفِ أنّ أجسادَهم قُرِضتْ بالمقاريضِ من حُسنِ ثوابِ اللهِ لهم ﴾ [88]

جماعة أخرى يخرجون من القبور إلى ذروة الجنة، يقول فيهم ﷺ:

﴿ إنّ أهلَ الجنّةِ ليتراءَونَ أهلَ الغُرفِ من فوقِهم، كما تتراءَونَ الكوكبَ الدُّرّيَّ الغابرَ من الأُفقِ من المشرقِ أو المغربِ. لتفاضلِ ما بينهم قالوا: يا رسولَ اللهِ تلك منازلُ الأنبياءِ، لا يبلغُها غيرُهم. قال: بلى. والذي نفسي بيدِه رجالٌ آمنوا باللهِ وصدّقوا المرسلينَ ﴾ [89]

غرف عالية يقول الله فيها:

﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾ [20الزمر]

هؤلاء الناس أهل الجنة يرونهم كما نرى الشمس والقمر والنجوم، ماشكل هذه الغرف؟ قال ﷺ:

﴿ إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ويرى من باطنها في ظاهرها قيل لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وبات بالليل قائما والناس نيام ﴾ [90]

أى لا يتكلم إلاَّ الكلام الطيب! يعِّود لســانه الكلام الذى يرضــى الملك العلام ﷻ، وقد سبق لنا حديث فيه ونتناوله هنا من ناحية أخرى ... ما صفة كلام المؤمنين؟ نسأل الله .. قال تعالى فى شأن من يحبُّهم الله:

---

88 رواه الطبراني في الكبير، وفيه مُجَّاعة بن الزبير، وثقه أحمد وضعفه الدارقطني، مجمع الزوائد

89 صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدرى ﷺ.

90 (حم حب هب) عن أبي مالكٍ الأشعري (ت) عن عليّ ﷺ.

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج]

كلامهم طيب مثل الفاكهة الطيبة، من يسمعه يطيب، ومن يجالسه ويسمع كلامه يطيب، لماذا؟ لأنهم مثل البلسم، يقول النَّبِيُّ ﷺ فى شأنهم مثل المؤمن كالنحلة، لا تقف إلاَّ على طيّب .. الزهور والرياحين ، ولا يخرج منها إلاَّ طيِّب، كل كلامه مثل العسل المصفَّى يسرُّ الحاضرين والسامعين، ليس له شأنٌ بسبٍّ ولا شتم، ولا لعنٍ لا كلاماً بذيئاً، ولا غيبةٍ ولا نميمة.، وهم يفشون السلام بينهم وعلى ألسنتهم كلمة السلام ورسالة السلام .. يسلمون على من يعرفون ومن لا يعرفون .. لا يستكفون ولا يتكبرون أن يبدؤا غيرهمبالسلام والتحية والإكرام ... هؤلا أهل الإيمان..

فإفشاء السلام طريق الإيمان واسمعوا لحديث النبى العدنان إذ قال:

﴿ لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا . وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ ﴾ [91]

يسألون رسول الله ﷺ مَنْ المؤمن؟ هل هو من يصلى فى المسجد؟!! قال: لا! ليست بالعلامة الفاصلة فالمنافقون كانوا يدخلون المسجد ويصلون وراء النبيّ ﷺ، قالوا: من هو إذاً يا رسول الله؟ ... إنه الكلام! قال ﷺ:

﴿ لَيْسَ الْمؤمِنُ بِالطَّعانِ، ولا اللَّعانِ، ولا الفاحِشِ، ولا البَذِيءِ ﴾ [92]

أى لا يشتم أحداً، ولا يلعن أحداً، ولا يخرج من لسانه كلمة فاحشة، ولا كلمة بذيئة تضرُّ الآخرين. لماذا تقوم الحرب بين الناس؟ بسبب كلمة!! بلاد المسلمن لماذا تخلو من الحروب وغيرها؟ لأنهم يملكون الكلمة. أنظر إلى عظيم تأديبه ﷺ لأصحابه ﷺ – فى غزوة تبوك – يمشى بجواره أحدهم وهو على جمله، فساء خلق الجمل فلعنه، فقال ﷺ:

﴿ يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسِرْ مَعَنَا عَلَى بَعِيرٍ مَلْعُونٍ ﴾ [93]

فماذا يفعل إذاً؟ لا حلَّ إلا أن ينزل من عليه ويتركه لحاله هائماً!– لماذا؟ .... تكفيراً للكلمة التى تفوَّه بها.

---

91 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صحيح مسلم

92 رواه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقى عن عبدالله ﷺ.

93 عَنْ أَنَسٍ ﷺ رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا بإسناد جيد، الترغيب والترهيب

هل هناك مسلم تأتى على لسانه كلمة لعن أبداً أو سب أو شتم؟

كلا، لماذا؟

لأنك – يا أخى – لو كان معك عمل الأنبياء والمرسلين كلهم، قد يمنعك من دخول الجنة. كلمة واحدة!! كما بين لنا ﷺ.

إذا جزت يوم القيامة فى كل المواقف، وأخذت حكماً بدخول إلى الجنة، ينادى منادى الله: من كان له مظلمة عند فلان فليخرج، فيخرج الناس يتعلقون به، منهم من يقول سبَّنى، ومنهم من يقول اغتابنى، فيقول الله تعالى: وعزتى وجلالى لا تدخل الجنة حتى ترضى خصماءك .... قد يكون من شتمته لم يسمع، لكن الكرام الكاتبين قد سجَّلوها وهناك عرف!

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت]

تسأله حتى يتنازل عن حقه، فيقول لك: كم تدفع؟ وماذا أدفع؟ من منكم حوَّل أموالاً إلى هناك؟:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [96النحل]

الحساب هناك بالحسنات، ادفع من الحسنات؟!! نعم، حتى يرضى، !ن حضرة النبى ﷺ وضح فى بعض الأمثلة البسيطة: ذلك إنسان لم يعجبه كلام أبيه أو أمه، لم يسب ولم يضرب ولم يشتم، وإنما قال: أُف – وفى الخبر: ﴿ كلمة أُفٍ تعدل عمل سبعين سنة ﴾ . يذهب إلى أبيه ليسامحه، يقول له: أنا فى حاجة، ادفع، عمل سبعين سنة!! انتهت حسناته، فليحمل من سيئاتهم، وهذا ما حذر منه رسول الله ﷺ وقال:

﴿ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـٰذَا، وَقَذَفَ هَـٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا، وَضَرَبَ هَـٰذَا. فَيُعْطَىٰ هَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ﴾ [94].

من أراد أن يكون من الأبرار الأطهار، الذين هم فى أعلى المنازل فى دار القرار، ما أهم ما يحرص عليه؟

خُلُقُهُ مع الناس !!!

إذا فعلت شيئاً فى حقّ الغفور الرحيم، فإنه يقول يوم الدين: يا عبادى: لقد استمعت إليكم طويلاً فاستمعوا إلىَّ اليوم – والكل يسمع:

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه]

﴿ ينادي منادٍ من تحت العرش يومَ القيامة: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ أَمَّا ما كان لي قِبَلَكم فقد وهبته لكم وبَقِيَتِ التَّبِعَاتُ فتَوَاهَبوها وادْخلوا الجنة برحمتي ﴾ [95]

فأين المشكلة؟

المشكلة تكون فيما بيننا وبين بعضنا!!

إذاً من يدخل الجنة بغير حساب؟ ... من أخلى طرفه من المؤمنين أجمعين، ليس بينه وبينهم لا مساءلة ولا لوم، ولا توبيخ ولا عتاب، يعيش فى الدنيا مع المؤمنين بلسمٌ شافٍ لجميع المسلمين. هذا الذى يدخل الجنة بغير حساب إن شاء الله يوم لقاء الله ﷻ. أما من يدخل أرض الموقف كما قلنا – مع أنه من الصابرين، المفروض يدخل الجنة بغير حساب – من عليه بعض الحقوق للعبيد.

قد يقول قائلٌ منتبه: .. سمعنا في حديث رسول الله ﷺ أن هناك بعض الناس سوف يتحمل الله ﷻ عنهم!! نعم اسمعوا لرسول الله:

---

94 صحيح مسلم عن أبي هريرة.

95 : إحياء علوم الدين، وتخريج أحاديث الإحياء، والنورين في إصلاح الدارين

﴿ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا ظَلَمَنِي، فَخُذْ لِي ظُلاَمَتِي، فَيُمَثِّلُ اللَّهُ لَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ قَصْراً، فِيهِ مِنْ خَيْرِ الآخِرَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، فَيَرَى فِيهِ مَا لَمْ تَرَ عَيْنَاهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! لِمَنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ: أَعْلَمْ هَذَا لِمَنْ عَفَا عَنْ أَخِيهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ ﴾ [96]

نعم سيحدث هذا، ولكن لمن؟ .. لمن حاول أن يذهب إلى أخيه – فى الدنيا – يرغب مصالحته !!

ولكن كما يحدث فى هذا الزمان، فيصرُّ على ما فى نفسه ويقول: لن أتصالح معه أبداً. فالمفروض أن يذهب إليه، أو أرسل إليه – وإن كنت صاحب الحق لقوله ﷺ:

﴿ وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدأُ بِالسَّلاَمِ ﴾ [97]

وأقص عليكم قصة رائعة المعنى قليلة الكلمات ...

الإمام الحسن والإمام محمد بن الحنيفية رضى الله عنهما حدث بينهما خلاف ما، الإمام ابن الحنيفية – لأنه كان الأصغر – أرسل إليه رسالة قال له فيها: إذا وصلت إليك رسالتى فتعالى وأصلحنى لأن النبي ﷺ يقول: (خيركما الذِي يَبْدأُ بِالسَّلاَمِ)، وأنا أرى أنك خير مني لأنك أكبر مني ولأن أمك فاطمة ابنة رسول الله ﷺ فسبقتني في إسلامي لدين الله ﷻ، أما الذى يذهب إلى أخيه ويُصِرُّ أخوه على ما فى نفسه، ولا يكبر لأهل الخير حتى يتم هذا الصلح، فقد قال فيه النَّبِيُّ ﷺ :

﴿ وَمَنْ أَتَاهُ أَخوهُ مُتَنَصِّلاً – يعنى معتذراً – فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ مُحِقّاً كَانَ أَوْ مُبْطِلاً، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ ﴾ [98]

﴿ عفوا يعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، واقبلوا من التنصل محقاً كان أم مبطلاً، فمنن لم يقبل من متنصل عذره فلا نالته شفاعتي، أو قال فلا ورد على حوضي ﴾ [99]

---

96 الديلمى عن أنس ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل
97 صحيح البخارى ومسلم عن أبي أيوب الأنصارى.
98 المستدرك للحاكم عن أبي هريرة.
99 الأمالى الشجرية عن الحسين عن على ﷺ.

وانظروا المقابلة: تعف عن نســـاء الناس تعف الناس عن حرماتك! وتابعوا معى .. بر أباك يبرك إبنك ... ثم إقبل من المتنصل عذره وإن كان كاذباً .. واكملوا المعنى كما سبق .. إذاً فى الدنيا ليقبل أخوك أيضــا تنصــلك عنده لو أخطأت وأذنبت فى حقه وكنت مبطلاً .. فبالكيل الذى تكيل به تكتال.. ثم بين ﷺ بوضوح ... فقال فمن لم يقبل معذرة أخيه، فلا شأن له بحوض رسول الله ﷺ، معنى هذا أن رسول الله ﷺ غير راضٍ عنه، فلا يذهب إليه ليشفع له، ولا يستطيع هذا الإنسان أن يشرب من الحوض.

فمن يذهب إلى أخيه – بِهَذِهِ الكَيْفِيَّة – لكن أخوه يُصِـرُّ على ما فى نفسـه ويأبى الصـلح – الحقُّ تبارك وتعالى يقول له: قد فعلت ما فى وســعك، وأنا اليوم أرضِّــيه – يوم القيامة، لكن الذي يُصِّرُ ويقول: لن أذهب إليه ولو فعل كذا وكذا، وربنا سيرضيه عنى يوم القيامة!! ... هذا لا!!!!

هل أنت أخذت بالأسباب، وعملت بالمنهج الذى وضَّحه النَّبيُّ ﷺ؟ فإن كل أمر له مبرراته وله طرقه، ومن رسم الطريق قال لنا الله فيه:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]

فالأمر:ماعة يدخلون الجنة بغير حســـاب – نســـأل الله أن نكون منهم – وخاصـــة الذين ســـيكونون فى أعلى الجنة، وجماعة يدخلون الجنة بغير حســـاب ولكن يدخلون أرض الموقف أولاً ليُصَفُّوا ما عليهم من حقوق.

- لكننا نريد أن نخرج من الدنيا وليس علينا حقوقاً لأحد.

نســـأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا. ولا أريد أن أطيل عليكم,فالإلمام بالموضـوع من جميع جوانبه يحتاج إلى وقت طويل ونكتفي بهذا القدر. وصـلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث:

بشائر المؤمنين

- **وإن تك حسنة يضاعفها**
- **صحاب غرف الجوهر**
- **فضل الصمت**
- **بشرى أمتى تطيق ذلك!**
- **ميزان الصلحاء**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلًا كَبِيرًا ﴾ ٤٧

﴿سورة الأحزاب﴾

الفصل الثالث

بشائر للمؤمنين

وإن تك حسنة يضاعفها

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى القراء الكرام ... بارك الله ﷻ فيكم أجمعين

قد تناولنا فى الفصلين الماضيين بعضاً من البشائر التى ساقها الله تعالى لنا فى كتابه الكريم أو .. على لسان حبيبه ومصطفاه ... ولو تفكر المؤمن فى بعض تللك البشريات التى بشره بها مولاه أو تفكر فى شيء من بعض فضل الله ونعمه وعطاياه التى خصنا بها الله لقام الواحد منا من فوره شاكراً لمولاه على تلك العطية أو ما بشره به رسول الله مع اعتقاده تمام الإعتقاد أنه مهما قدم من فروض الشكر فهو عاجز عن شكر الله على نعمة واحدة أسداها إلينا الله جلَّ فى علاه .. أو بشري بشرنا بها رسول الله ﷺ.

والبشرى فى نفسها من هذه النعم التى أنعم الله علينا بها وأمر حبيبه ووظَّفه فى أن يقوم بها للمؤمنين ... فقد قال الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [(47) الأحزاب]

والله لم يقل ثواباً ولا أجراً بل قال: ﴿ فَضْلًا ﴾ وهناك فرق بين الثواب والأجر وبين الفضل، فالثواب والأجر يكون على حسب الموازين الربانية التى جعلها الله ﷻ ثواباً وأجراً على الأعمال الصالحة فى الحياة الدنيوية، وقد أعطى الله هذه اللائحة للكرام الكاتبين ليسجلوا بها أعمال المؤمنين ويحسبوا عليها حسابات المتقين والعابدين والصالحين.

لكن الله ﷻ إدخر لهذه الأمة فوق الثواب والأجر: "الفضل"، والفضل من الله لا يعلم مداه إلا الله واسمع إليه ﷻ وهو يقول:

﴿ وإن تكُ حسنةً يُضعفها ﴾ وهذه غاية الأجر ضعفين، ﴿ ويؤتِ من لَّدنه أجرا عظيما ﴾ [النساء]، وتلك خصوصية أخرى فضلاً من الله ﷻ لعباده المؤمنين، ومن فضل الله علينا أن الله ﷻ قال فى حديثه القدسي:

﴿ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ﴾ [100]

مع أنه همَّ بسوء وشر لكن كونه حبس جوارحه وأعضاءه عن فعلها فهو بذلك قد جاهد نفسه ونظير هذا الجهاد يعطيه الله عليه حسنة، ﴿ وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ﴾ [101] ويعفو الله لمن تاب وأناب ورجع إلى الله ﷻ ، وذلك لأنَ الله يأمر الكرام الكاتبين إذاَ سجلوا السيئة ألا يسارعوا فى تثبيتها ... بل يكتبوها ويتركوا للعبد الذي فعلها فرصة لعله يرجع إلى الله ويتوب إلى الله فيأمرهم الله ﷻ بمحوها:

﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت ﴾ [الرعد]، وقوله ﷺ: ﴿ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ﴾ [102]

وهذا كله فى ميدان الأجر والثواب أما ميدان الفضل فلا تعلمه الملائكة إن كان الكرام الكاتبين أو أهل عالين أو أهل عليين ولا حتى أهل اللوح المحفوظ وإنما الأمر مفوض إلى رب العالمين ﷻ وإليه المثال بقول الله فى حديثه القدسي:

﴿ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ﴾ [103]

فمن الذي يعرف مقدار هذا الجزاء؟ لا يستطيع أحد معرفته من الأولين والآخرين ولا من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة وذلك لأن الله ﷻ جعله خالصاً لذاته ﷻ:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة]

من الذى يستطيع أن يحسب ثواب وفضل الصلاة المفروضة؟

100 صحيح مسلم عن ابن عباس.
101 صحيح مسلم عن ابن عباس.
102 صحيح مسلم عن ابن عباس.
103 صحيح مسلم عن أبي هريرة.

تقولون سؤالاً سهلاً ! ..فكلكم يعرف ! إذاً اسمعوا.. الفرض الواحد بداية بعشرة ثوابات أو فروض لأنها خمســـون فى الثواب وخمس فى العمل كما ورد فى حديث المعراج، هذه واحدة! والثانية أن كل حسنة بعشر أمثالها وهذا أقل حساب كما ورد بالحديث السابق فإذاً الفرض الواحد تصليه يصير بمائة .. هل خطر ذلك ببالكم !

والثالثة لو أنت تصليها فى جماعة فالصلاة بسبع وعشرين درجة وأقل تفسير للدرجة أن يكون ثوابها سبعا وعشرين ضعفاً ولكن الدرجة لا يعلم حقيقتها إلا الله !!! وقد تبلغ مئات الأضعاف !!!!

وعلى هذا فالفرض فى جماعة يكون بألفين وسبعمائة ضعف على أقل تقدير!!... الله أكبر .. والرابعة!! فلو كانت الصلاة فى شهر رمضان فيضاعف الفرض بسبعين مرة كما ورد..فتصير قرابة مائتى ألف ضعف!!! ولو كان بالمسجد الحرام يضف كل كل هذا مائة ألف مرة فيصير ملايين الملايين !!! .... يألله ... يالا وسعة فضل الله ... يالبشريات رسول الله يالا كرم الله وعطاء الله لأمة رسول الله !!! الله أكبر ..ز الله أكبر ... الله أكبر هذا مثال واحد !!!!! إنه فضل الله الذي يَعُم هذه الأمة لأن الله ﷻ من أزله القديم أوجب على نفسه ولا يوجب على حضرته شيء لأنه:

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء]

فالله يحاسب الأمم السابقة كلها بالعدل! أما أمة رسول الله فحسابها بالفضل لأنها أمة الفضل ولذلك لا يستطيع أحد من السابقين أو اللاحقين أو الملائكة المقربين أن يعرف أو يطلع على عمل أقل رجل من المسلمين لأن عمل المسلم الذي تظنه حقيراً تجده عند الله ﷻ عظيم:

﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور]

واسمعوا لفضل الله تعالى الذى يجعله فى أقل القليل ... وانتبهوا لبشريات حبيبه التى يضاعفها الله تعالى فى أقل ما تظن أو تعتقد ... الفضل الإلهى ليس مرتبطا بالإحجام ، بل هو مرتبط بما ربطه به الله أو أشار إليه رسول الله .... إنتبهوا أيها القراء ... افتحوا اسماعكم وافتحوا قلوبكم للفضل والعطا ... واسمع الحبيب ﷺ وهو يقول لصحبه الكرام ولنا ولمن قبلنا وبعدنا من الأمة المحمدية على مر العصور:

﴿ فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحدكُمُ النارَ ولو بشِقِّ تمرة ﴾ [104] وقوله ﷺ في رواية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَيُرَبِّي لأَحَدِكُمُ التَّمْرَةَ وَاللُّقْمَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ ﴾ [105] وأيضا قوله: ﴿ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، قَالُوا: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: السَّلامُ عَلَى الْمُسْلِمِ صَدَقَةٌ، وَعِيَادَتُكَ الْمَرِيضَ صَدَقَةٌ، وَصَلاتُكَ عَلَى الْجَنَازَةِ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَعَوْنُكَ الضَّعِيفَ صَدَقَةٌ ﴾ [106]

وهنا بشرى عظيمة من بشريات القرب والفضل !!! إخوانى القراء الكرام .. هذه الأحاديث التى سقتها لكم تفتح الباب الأعظم الذي يرفع العبد إلى درجات المقربين وإلى منازل المتقين وإلى معية خير النبيين (بالطبع بعد أداء الفروض المفترضات حتى لا يلتبس الأمر) .. ماهو هذا الباب؟

لا يظن أحدكم أنه نوافل الصلاة أو الصيام كما يعتقد الكثيرون !! إنما الصدقة !!!! كيف ذلك... الصدقة هي الباب الأعظم الذي ركَّز عليه الصالحون أجمعون وذلك لأن الصلاة ربما تكون سهلة على النفس من التعود ! وكذلك الصيام سهل على النفس بل فيه شهرة وسمعة لأن الإنسان عندما يصوم فى الأيام الحارة يقول له الناس هنيئاً لك بالصيام لكن العمل الذي يحقق الأمل والذي ركز عليه الحبيب المختار وأصحابه الذين كانوا مزينين بالأنوار هو الصدقة !!! .. ودعونا نعود للحديث الذى ذكرنا قبلاً ونأخذه من زاوية أخرى وسأسوق لكم فيه إنشاء الله إحدى البشريات العظيمة، وهو الحديث الذي رواه جابر عن رسول الله ﷺ، قال جابر رضي الله عنه :

---

104 صحيح البخارى عن عدى بن حاتم.
105 عن عائشة رواه ابن حبان في صحيحه
106 (حل) فب تاريخ اصبهان (خط كر) عن ابن مسعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ. اسم الكتاب: جامع المسانيد والمراسيل

﴿ قال لنا رسول الله : أَلا أُحَدِّثُكُمْ بغُرَفِ الجَنَّةِ ؟ قال : قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك، بأبينا أنت وأمنا قال: إِنَّ فِي الجَنَّةِ غرَفَا مِنْ أَصْنَافِ الجَوْهَر كلِّهُ يُرَى ظَاهِرُها مِنْ بَاطِنِها وَبَاطِنُها مِنْ ظَاهِرِهَا وَفيها مِنَ النَعِيم وَاللذاتِ وَالسُّرُور ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قلب بَشَرٍ، قال: قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرفَ ؟ قال: لِمَنْ أَفْشَى السَلامَ وَأَطْعَمَ الطَعَامَ وَأَدَامَ الصِيَامَ وَصَلَى بِالليْلِ وَالنَاسِ نِيامٌ ﴾ [107] (الحديث بقية) .

والبقية فيها بشرى هنية، وهذه الغرف ذكرها الله فى (20الزمر):

﴿ غُرَفٌ مِن فوقها غُرَفٌ مَبنيَةٌ تجرى من تحتها الأنهرُ ﴾

ورسول الله يشرح حاله أهل الغرف ومقامهم ويصفها فيقول ﷺ:

﴿ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَو المَغرب. لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تلكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: بَلَى. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [108] ﴿ الغُرْفَةُ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ أَوْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ، أَوْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ لَيْسَ فِيها فَصْمٌ وَلا وَصْمٌ ﴾، وفي رواية أخرى قال ﷺ: ﴿ إِنَّ أَهْلَ الدرجَاتِ العُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كمَا تَرَوْنَ النَجْمَ الطَالِعَ فِي أُفُقِ السَمَاءِ، وإِنَّ أَبَا بَكرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعِماً ﴾ [109]

والمعنى أن أهل الجنة سيرون هؤلاء من داخل غرفهم فى الجنة يتلألؤن ويلمعون وتسطع أنوارهم وتضيىء من حولهم فى الجنة لأهل الجنة! كما نرى نحن الشمس أو الكواكب الدرية المنيرة فى عنان السماء فى الدنيا، ووصف جوهر الغرف، وأسماهم أهل الدرجات العلى ! وعرفنا بعضهم! فكيف وصلوا لذلك؟ هذا هو السؤال؟ سألناه سابقا ! وسنجيب هنا من هذه الرواية هنا ... أول أعمالهم قوله ﷺ : ﴿ لِمَنْ أَفْشَى السَلامَ ﴾ ..

107 أخرجه أبو نعيم عن جابر، وفى تخريج الإحياء، البعث والنشور للبيهقى والأمالى الشجريةونهاية الفتن والملاحم
108 الحكيم عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل.
109 الحديثان عن أبى سعيد، الياقوتة فى صحيح مسلم، وحديث الدرجات العلى سنن الترمذى ورويا فى مصادر عدة.

وإفشاء السلام وإنتبهوا للكلام! .. الشائع أنه إلقاء السلام وهذا صحيح على التمام ويسير وفضـــله عظيم وأثره عميم أن تلقيه على من عرفت ومن لم تعرف ! وقد ســبق وأوردنا فضـــله ... ولكنه ﷺ إختار هذه الألفاظ .. لماذا؟ ليســـمح أن يشـــمل معنى آخر ... لأنه لو أحبَّ أن يوقفه على الســلام بمعنى التحية لقال إلقاء التحية أو قول الســلام عليكم بما يقطع! ولكن ﷺ اســتخدم لفظا يعمُّ معانى ... ألا وهو إفشاء السلام، ففيه أيضاً نشر السلام أو إشاعة السلام والمحبة والوئام بين الأنام!!فأن تكون واحدا من اللذين يحبون أن يشـيع السـلام والتفاهم والمحبة والترابط بين الناس .. تكون من اللذين يحرصـون على سـلامة قلوب إخوانهم وأن يعيشـوا دائما وهو فى سـلام وتصـالح بينهم ودد ورباط يلمهم ... ولذا أخبر ﷺ ، قَالَ:

﴿ لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا . وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَـيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ ﴾ [110]

فإفشاء السلام سرٌ من أسرار اصحاب الغرف! وبما أننا أشرنا إلى إفشاء السلام وذكرنا معنى إشاعة السلام .. فهو فى الحقيقة مرتبط إرتباطاً وثيقا لا ينفك باللسان!!! لأن الكلمة هى أشد ما يقطع أو يربط بين الناس ولذا ففى رواية الحديث الأولى كان أول فعالهم: ﴿ لِمَنْ أَلاَنَ الْكَلاَمَ ﴾ [111] فلين الكلام مع خلق الله أى إلانة الحديث معهم فمعناه أنهم يتحدثون بالكلام الذي لا يجرح ولا يؤذي أحداً من الأنام! أو ليس هذا ياإخوانى من إشـــاعة الســـلام والوئام بين الأنام! كلام ليس فيه سب ولا شتم ولا لعن ولا تعريض ولا غمز ولا لمز ولا همز، أى هو الكلام الذى وصفه الله بقوله:

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج]

وذلك لأن هناك كلمة واحدة من الجائز أن تجعل الإنســـان يصـــعد إلى أعلى الدرجات فى الجنان وهناك كلمة أخرى ربما تجعله يهوى إلى أســـفل الدركات فى النيران – من قال ذلك؟ من لا ينطق عن الهوى فقد قال ﷺ:

﴿ إِنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ اللهِ لا يُلْقِي لَهَا بالاً، يَرْفَعُ اللهُ بها لهُ درجاتٍ، وإنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ اللهِ لا يُلْقِي لَهَا بالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [112]

---

110 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صحيح مسلم
111 (حم حب هب) عن أبي مالكٍ الأشعري (ت) عن عليَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.
112 رواه البخارى فى الصحيح عن عبدالله بن منير.

إذاً ما الذي يرفع وما الذي يُنَزِّل؟ إنه الكلام فإذا كان كلام يحبه الملك العلام ويشيع السلام ويفشى المحبة والوئام ويريح قلوب الأنام .. فهو يرفع المرء إلى أعلى مقام فى درجات الله ﷻ فى دار السلام !!!

أما إذا كان الكلام يجرح أو يشوه أو يؤذي الأنام فإنه يهوى بصاحبه إلى أسفل الدركات فى النيران والعياذ بالله ﷻ.

ألا تعرفون يا إخوانى أن حروبا هائلة أهلكت البلاد والعباد والعتاد! نشبت من كلمة أو كلمات ! كلكم يعرف ذلك وقد درسناه فى التاريخ .

فالكلمة سيفٌ قاطع! أو سمٌ ناقع! أو سحرٌ باتع! فالمؤمن هو الذي ضبط لسانه وجعل فيه ميزان يزن به ما يقول فإذا كانت الكلمة أو الحرف من الكلمات التى يكتبها صاحب اليمين فى صحف مُطهرة فإنه يسارع بها أما إذا كانت الكلمة من الكلمات التى يسجلها صاحب الشمال فى محاضر يحاسب عليها يوم لقاء الملك العلام – هذه المحاضر لا يسامح فيها الحق بذاته مع عظيم قدرته وعزيز حكمته إلا إذا سامح فيها من قيلت فى حقهم من الأنام، إذاً على المؤمن أن يتوقف إذا أراد أن ينال الدرجات والقربات:

﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ﴾ 113

لذلك كانت المجالس مع رسول الله فى الكلية المحمدية فيها مجالس نظرية للمحاضرات وفصول تطبيق عملية معه ومع أصحابه – فالمحاضرات:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ (١٥١) ﴾

[البقرة]

113 رواه أحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر.

فضل الصمت

أما المجالس والدروس العملية التى يرتفع بها أهل الخصـــوصـــية إلى الدرجات العلا والمنازل العظمى يقول فيها سيدنا أبو الدرداء:

﴿ تعلموا الصمت كما تعلمون الكلام، فإن الصمت حكم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك ﴾ [114]

معنى أنهم يدخلون ورشـــة يعلمهم فيها رســـول الله الصـــمت كما نتعلم نحن ونعلم أولادنا الصغار الكلام.

ما الوسيلة التعليمية التى كان يستخدمها سيدنا أبو بكر ليصمت؟ كان يضع حجراً تحت لسانه فلا يتكلم إلا فيما يرضى الرحمن، فيقولون: ما هذا يا أبا بكر؟ فيقول وهو يشير إلى لسانه: **"هذا الذي أوردني الموارد"**

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق]

وذلك هو بداية الصلاح لمن أراد الفلاح والنجاح، وأنا أقول لكم :

﴿ إذا رأيت الرجل يمسك لسانه ويصوم عن الذنوب والآثام وعن الوقيعة والخطأ بين الأنام فاعلم أنه على خير وأنه مفتوحة أمامه كل أبواب دار السلام ﴾ .

أما إذا رأيتم الرجل يســـارع فى العبادات ويجاهد فى النوافل التعبدية والقربات ولكن منفلت لسـانه يخوض مع الخائضـين ويكذب مع الكذابين ويقترف الآثام فى حق المؤمنين فاعلم أنه دخل فى قول الصادق الوعد الأمين عندما هـ أبو هريرة ﷺ عن الصوامة القوامة التى تؤذى جيرانها بلسانها فحكم: **﴿ هِيَ فِي النَّارِ ﴾** [115] وأخرى تصـلّي المكتوبة وتصـوم رمضـان وتتصـدق بالقليل ولا تؤذي أحداً بلسانها، قال: **﴿ هِيَ فِي الجَنَّةِ ﴾ .**

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
[فصلت]

---

114 مكارم الأخلاق (الخرائطي)
115 رواه أحمد وابن حبان عن أبي هريرة.

إذاً كانت الورشـــة الأولى فى العبادة العملية التى كان يُشـــرف عليها خير البرية هى تَعَلُم الصمت ومن يدخل هذه الورشة يأخذ ما فيها من بضاعة بعد أن يُحَصِّل وفى النهاية يعطيه الله ﷻ جزاء هذه الطاعة:

﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ [(269)البقرة]

هنا يأخذ شهادة بأنه أصبح حكيم قال ﷺ:

﴿ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ ﴾ [116]

وإذا أخذ العبد شـــهادة الحكمة ينتقل إلى البرنامج الآخر فى الورش العملية فى جامعة خير البرية وهو التفكر، فيتفكر فى خلق الله وفى نفسه:

﴿ سنريهم ءايتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ [53فصلت]، وهى عبادة يقول فيها ﷺ: ﴿ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عبادة سنة ﴾ [117]

وإذا وصل الإنسان لهذه العبادة ... والساعة هنا تعنى لحظة فاللحظة فيها خير من عبادة سنة من العبادات النفلية والتعبدية والتى نهتم بها فى كل حياتنا الدنيوية ...

116 (حل هب) عن أبي هريرة. فى جامع الأحاديث والمراسيل.
117 مرقاة المفاتيح.

بشرى أمتي تطيق ذلك

وهنا جاء الوقت لأسوق لكم البشرى .. أكمل لكم الحديث السابق:

﴿ قال: قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ قال: لِمَنْ أَفْشَى السَّلامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قال: قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: أُمَّتِي تُطِيقُ ذَلِكَ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ. مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ أَفْشَى السَّلامَ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يُشْبِعَهُمْ فَقَدْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَمِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَقَدْ أَدَامَ الصِّيَامَ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ وَصَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ صَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ﴾ [118]

هل سمعتم الشرى العظيمة؟ هل رايتم الفضل الذى لا يوصف؟

إذا لقيت أخاك فسلمت عليه أو رددت سلامه ... ولكن إنتبه .. لا تقول هذا أسلم عليه وذاك لا!! هذا لاينفع! ما ينفع أن تسلم على كل من لقيت من إخوانك ... لا تنتقى ولا تختار .. ولكن تنفذ كلام النبى المختار! وإذا سلَّم عليك أحدٌ فلا تختر من ترد عليه بلسان واضح! ومن ترد بنصف لسان !! أو تهمهم وأنت لا ترد لأنك تكن له الصغار او الإحتقار!! .. أنت لا تختار ... فعلى كل أخ – وكل من تقابل من المسلمين فهو أخ لك وهذا معنى آخر ولكن لكى لا نطيل!– فترد السلام وبنية رد السلام الخالصة وإلقاء المحبة وإرسال الدعاء بالقلب المحب المفتوح لأنه أخوك !! .. حتى ولو كان هناك شيء بينكما من الخلاف .. فهذا لا يذهب الأخوة ... فالرد فرضٌ لا تملك أن تمنعه ! .. فأنت ترد بصدق على إهداء السلام لك بأن تهديه مثله ولا شأن للخلاف بذلك! .. فهو يلبسك حلة من مولاك لأن السلام هو الله .. فيلبسك حلة ربانية فكيف ترد الحلة أو تسقطها على الأرض!! تأخذها وتلبسها وتسأل الله أن يلبسه مثلها أو أفضل ! هكذا يكون رد السلام وهكذا يربو الإيمان وتستحق أن تكون من أصحاب الغرف وأما الخلاف الذى بينكما فهو شأن آخر بل ببركة هذا يزول الخلاف إنشاء الله ويجعل الله لكم من أمركما يسرا.. فهذه البشرى الأولى فيمن يريد تطبيق ذلك! اللهم اجعلنا منهم.

118 أخرجه أبو نعيم عن جابر، تخريج الإحياء العراقي، البعث والنشور للبيهقى والأمالى الشجريةونهاية الفتن والملاحم

والثانية من أطعم أهله وأولاده فأشبعهم كان منهم وخيركم خيركم لأهله ... فحتى الواجبات المفروضة علينا لأهلنا أثابنا الله عليها الفضل العظيم .. فأنت تقوم بما أمرت بصدق والله يجزيك عليها الأجر العظيم بكرم وسعة ووسعة لا منتهى لها ولامثل. وإن أشبعت أغراباً رأيتهم من أهلك بقلبك أو أشبعت عيال المسلمين ورأيتهم عيالك صرت من أهل هذا العطاء بشرط ألا تكون أهملت فى أهلك وعيالك فى حكم النسب الظاهر!

وإن صمت الشهر المفروض وحافظت على ثلاثة أيام والحسنة بعشر أمثالها فهى ثلاثون فكأنك صمت الدهر وصرت ممن أداموا الصيام، وكذا لو صليت العشاء والصبح فى جماعة فقد صليت بالليل والناس نيام، وبذلك دخلت فى أصحاب الغرف ببشرى النبى عليه الصلاة والسلام ... يابشرانا يابشرانا ... يابشرانا .. ياسعدنا ويا هنانا .... أيها الأحباب الكرام ...

ميزان الصلحاء

وبعد كل ماسبق ياإخوانى فكل الأمور مدارها ومنشأها أولاً على العلاقة التى تقيمها بينك وبين أهلك وإخوانك والأقربين ! ولذا أعطيكم ميزانا تعرفون به مقامكم؟ فهناك بعض المسلمين ومنهم أناس أكابر يظن أن الكلام الذي يُحاسب عليه هو ما يتكلمه مع الأنام وهو بذلك يعتقد أنه مباح له أن يقول لزوجته ما يريد كأن يَشْتُمها أو يَسُبَّها أو يلعنها وكذلك أولاده نفس الأمر، فمن أين يأتى بذلك؟

ومع الأسف فإننا نجد الكثير ممن يتظاهرون بالصلاح فى الدين والذين يعتبرونهم المسلمين قدوة حسنة لهم ما هم إلا شوكة يتأذى منها أهل بيته فى كل وقت وحين، وعندما يدخل يفرون منه خوفاً من لسانه وهذا خطأ جسيم فالإمام الأعظم والقدوة ﷺ يقول:

﴿ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي ﴾ [119]

فمن ينادى ويقول أنا من الصالحين إن كان بلسانه أو بأفعاله انظر إلى موقف أهله وأقرب الناس منه، كيف يكون معهم؟ ... فإذا كانت زوجته تُثني عليه وتمشي معه وكذلك أولاده إن كانوا يُسَلِّمون له ويمشون خلفه هنا تعرف أنه يمشي على الطريق القويم والمنهج المستقيم – لماذا؟

لأن أول من آمن بسيدنا رسول الله كانت زوجته السيدة خديجة، وكذلك سيدنا على الذي كان يتربى عنده فى منزله، وكذلك خادمه سيدنا زيد ابن حارثة الذي كان أباه وعمه وأخوته يبحثون عنه إلى أن وجدوه عند رسول الله وعندما سألوا قريشاً عن رسول الله، قالوا لهم: إنه رجل كريم وحليم وعندما ذهبوا إليه قالوا: يا رسول الله نريد زيداً ابننا وخذ ما تريده منا، قال:لا أريد شيئاً ولكن اسألوه فإن اختاركم خذوه بلا مقابل وإن إختارني فلن أفرط فيه، قالوا بشرط ألا تكون معنا ونحن نُخَيِّره، قال: كما تريدون، فأخذوا زيداً وانتحوا بها جانباً وأخذوا يُرَغِّبوه فقال أبوه: أنا أبوك وهذا عمك وهؤلاء إخوتك ونملك كذا وكذا من الخيرات ومن العير كذا وكذا من الأرض فارجع معنا، وإذا به يقول لهم: لا، لن أترك محمدا وهذا كان قبل الرسالة، فقالوا لرسول الله: اتركنا معه يوم آخر قال: بل ثلاثة أيام وبعد محاولات مضنية قال زيد: لا أترك محمداً أبداً، لماذا؟

119 رواه الترمذ والدارمي وابن حبان عن عائشة.

لما رآه من كريم صـــفاته ومن عظيم أخلاقه ومن حســـن تعامله مع من حوله وهم زوجته وخادمه وأهل بيته أولاً، وليس زيداً وحده ولكن هناك أنس بن مالك ﷺ وهو من خدم النبى ســنين طوال .. هو الذي يقول:

﴿ خَدَمْتُ رسولَ اللهِ عَشْرَ سِنينَ فَمَا قالَ لي: أُفٍ قطُ، ولا قالَ لي: ألا صَنَعْتَ كذا وكذا، ولِمَ تَصْنَعُ كذا وكذا ؟ ﴾ [120]

وهذا هو الميزان الذي نزن به من يدعي الصـــلاح، فإذا كان من تعيش وســـطهم يألفوك ويحبوك فأنت تمشي على المنهج القويم خلف الرؤوف الرحيم أما إذا كان بينك وبينهم خلاف وتنافر فأنت هنا سالك على حسب حظك وهواك وليس على حسب هوى حبيب الله ومصطفاه:

﴿ لاَيُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ ﴾ [121]

فإذا كنت فى واد وأولادك فى واد آخر فإنهم بذلك لا يؤمنون بما أنت فيه فمن الجائز هنا أنك تأخذ جانب التشدد مع أن التشدد ليس من الدين أو أنك تأخذ جانب التساهل المفرط الذي نهى عنه سيد الأولين والآخرين – أما لو أخذت السبيل الذي يقول فيه الله:

﴿ فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَو كُنتَ فظًا غَلِيظَ القَلْبِ لاَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [(159)آل عمران]

ومن الجائز أيضـــاً أن تكون شـــديداً عليهم فى الأمور الخاصـــة بك وهذا ما يقع فيه عامة المســـلمين، فمثلاً إذا دخل الإنســـان المنزل فى ميعاد طعام الغذاء ولم يجد الطعام جاهزاً فإنه يفتح العيار الثقيل من السباب والشتائم أو أيمان الطلاق ومن الجائز أن يترك العنان لليد وذلك كله لأنه يريد شهوة نفسه وهى الطعام !!! أما إن وجدها لم تصلى فلا يهتم بذلك وهو بذلك يغضب لنفسه ولا يغضب لربه !!!

---

120 صحيح ابن حبان، وصحيح مسلم والبخارى وغيرها عن أنس
121 رواه الخطيب عن ابن عمر في جامع الأحاديث والمراسيل.

وهذا يحدث كثيراً فإن وجد ابنه موفقاً فى الدراسة ومتفوقاً فى الإمتحانات يقول له: اطلب ما تريد أما إذا كان مع هذا النجاح فى الإمتحانات راسب فى مادة الصلوات المفروضات فلا يهتم أيضاً ويقول غداً سوف يصلي وهنا أيضاً يغضب لنفسه وليس لله، وبذلك لا يكون ابنه معه، أما إذا غضب الإنسان لله فاعلم علم اليقين أن الكون كله سيهابه ويخضع له لأنه يغضب لمولاه جلا فى علاه لأنه لا يوجد من يغضب لله إلا ويرزق هيبة فى صدور الحاضرين والسامعين أجمعين ، وكان ﷺ كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها عن حضرته لا يغضب لنفسه قط، لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ.

من الذي أذهب الضيق عن الحبيب فى صلح الحديبية؟ إنها زوجته الوفية التقية السيدة أم سلمة وتم ذلك عندما اتفق على الرجوع فى هذا العام على أن يأتوا فى العام التالى وكان صلح الحديبية، فأمر أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم؟ فلم يفعلوا، فغضب خوفاً عليهم ودخل على زوجته أم سلمة فسألته؟ فقص عليها الأمر، فأشارت عليه أن اخرج ولا تتحدث وادعو الحلاق فاحلق وانحر هديك! فإن رأوك تفعل لا يتخلف أحد منهم! فلما فعل سارعوا أجمعون ففعلوا كما فعل اتباعاً واقتداءاً به ﷺ – وقد تم ذلك كله بمشورة زوجته .... فهل كان رسول الله يحتاج هذه المشورة والله بنفسه معه يسدده؟ لا، ولكن ليعلمنا أن نجعل لأهل بيتنا كياناً وأن نشاورهم لكى نعلمهم الرأى السديد وندربهم على المشورة فى كل الأمور فيشبون على التبصر فى الأمور، أما لو تركت أهلى فى المنزل كماً مهملاً لا كلمة لهم ولا رأى فمتى يتعلمون؟ .. وكيف يتشجعون !!

إذاً يجب أن أعلم زوجتى وأدربها على ذلك وكذلك أولادى وبناتى لكي يشبوا على قول الواحد المتعال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [(38)الشورى]، إذاً يا إخواني أول ما يبدأ به المرء ويثنى به قول الحبيب :

﴿ ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا . فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ . فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ . فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهكَذَا وَهكَذَا ، يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ . ﴾ [122]

خذهم معك ليس فى النفقة فقط ولكن فى الرأى والمشورة والتعليم والتدريب وكل شئون الحياة لأنك رائدهم، وعنها يقولون لك يوم القيامة:

---

122 صحيح مسلم عن جابر

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [(21)الطور]، وكذلك يقول لك ربنا يوم القيامة: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف]، لم يقل هنا أدخل وحدك ولكن خذ زوجتك معك وادخلا الجنة وذلك لأنهم مشوا على منهج الله وتأسوا بحبيب الله ومصطفاه وهذا هو المنهج الذي نزن به صلاح المرء فى هذه الحياة،فكل هذا من سر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [(125)النحل]

فختاما لكى نصعد إلى الغرف العالية؛ فعلينا بصوم اللسان ولا يفطر إلا على السلام ولين الكلام، ونوفى أهلنا النفقة والطعام، ونفتح باب الصدق بصدق لجميع الأنام لأنه أسرع باب لرضا الملك العلام وهو الذي دخل منه الخليل عليه السلام وكان يقف عليه دائماً سيدنا رسول الله على التمام، وعلينا أن نحافظ على الصيام المفروض والمسنون وصلاة العتمتين، فندخل الرحاب ونصير من ملاك الغرف والأصحاب، ولا ننسى فى كل هذا أن نأخذ بأيدى أهلينا وأبنائنا معنا بصدق واصطبار،وعندها نكون جميعا من أهل تلك المراقى ومن لم يلحق ألحق ببركة حبيب الله ونعمة العزيز الغفار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الرابع –

منازل المقربين

- أهل الدنيا
- أهل الله
- أنواع العطاء يوم القيامة
- دائرة الأجر والثواب
- دائرة الفضل الإلهى
- دائرة الإكرام الربَّانى
- مقام الإنعام
- صفاء الطوية

الفصل الرابع

منازل المقربين

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى القراء والقارئات الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

للدنيا أبناء، وللآخرة أبناء، ولله ﷻ رجالٌ أمناء. للدنيا أبناء شغلهم الله ﷻ بها، وجعل كل همِّهم، وكل سعيهم فى نوالها. وقدَّر – وهو القدير، وحكم – وهو الحكيم – أن لا ينالون شيئاً إلا بما كتب الله ﷻ لهم فيها وبها. ولذلك يقول فيهم ولهم فى حديثه القدسى:

﴿ يَا عَبْدِي إِنْ رَضِيتَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ أَرَحْتُ بَدَنَكَ وَقَلْبَكَ وَكُنْتَ عِنْدِي مَرْضِيًّا، وَإِنْ لَمْ تَرْضَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ سَلَّطْتُ عَلَيْهِ الدُّنْيَا تَرْكُضُ فِيهَا كَرَكْضِ الْوَحْشِ فِي الْبَرِيَّةِ وَأَتْعَبْتُ بَدَنَكَ وَقَلْبَكَ، وَكُنْتَ عِنْدِي مَذْمُومًا وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا قَسَمْتُ لَكَ ﴾[123] كركض الوحوش فى البريَّة: أى تجرى وتسرع مثلها.

[123] حاشية الصاوي

فأهل الدنيا فى كدٍّ وعناءٍ وتعبٍ وشـــغل، وفى الختام عندما يناديهم منادى الملك العلام ليخرجوا من الدنيا إلى ساحة الآخرة ودار الإكرام، يرون حالهم، ويشاهدون كدَّهم وجهدهم وتعبهم، فيقول قـائلهم – كمـا قـال الله: ﴿ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [56، الزمر]، ولا ينفع التحسر، ويطلب من الله ﷻ التأخير، والإمهال، والإنظار، لعله يعمل صالحاً فيما بقى له، ولكن إجـابـة الحقّ للجميع: ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون].

وللأسف هذا الصنف كَثُرَ فى هذا الزمان، لأن أئمة أهل الدنيا وطلابها، والحريصون عليها، هم الكافرون والمشـركون والجاحدون، وقد مكر الله ﷻ بهم فى هذا الزمان فهيىء لهم أسـباب العلو فى الأرض، فظن غير الأتقياء – وهم لا يفهمون ولايفقهون بالعقل الواعى – أن هذا دليل رضا الله، وأن هذا تكريم من الله، فســارعوا فيما ســارع فيه الكافرون والجاحدون، وتركوا كتاب الله وراءهم ظهرياًّ، وهؤلاء – يا إخوانى – الذين نحاول أن نذكّرهم من إخواننا الذين يقول فيهم نبيُّنا ﷺ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الآخِرَةِ ﴾ [124]

يســعى طوال اليوم كســعى الحمار، فإذا جاء الليل ارتمى فى فراشــه كالجيفة، لأنه لا يذكر الواحد القهار ﷻ. وإذا كان لو مجلس ما ولم يذكر الله ﷻ فيه، تخرج من مجلســـهم رائحة أنتن من جيفة الحمار كما قال ﷺ:

﴿ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ إِلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [125]

124 صحيح ابن حبان عن أبي هريرة.
125 رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة.

ولا يعنى ذكر الله فى المجلس أن تكون المجالس دينية ولكنها تعنى ألا تكون مجالس معصية أو مجالس منهيٌ عنها!! وأبناء الآخرة هم الذين يجاهدون فى ترك الشهوات، ويستبقون الخيرات، ويتنافسون فى النوافل والقربات، ومجالسهم فيما ينفعهم ويصلح مجتماعاتهم، آملين وراجين فى الجنات والدرجات، وأن يكونوا فى الموقف العظيم يوم القيامة فى حال من الأحوال التى زكَّاها الله، أو التى أثنى عليها وبيَّن أهلها رسول الله ﷺ.

أهلُ الله

لكن هناك جماعة آخرون – وهم أعلى وأرقى – هؤلاء وهم فى الدنيا لا ينسون – طرفة عين ولا أقل – الجمال الذى شاهدوه، والخطاب الإلهى الذى سمعوه فى الأزل من يوم ألست بربكم ، وتحنُّ قلوبهم، وتشتاق أرواحهم دوماً إلى العودة إلى هذا المقام، وإلى بلوغ هذا الكمال. وهؤلاء ناهيك بقوم يقول الله لحبيبه ومصطفاه:

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف].

وهذا هو المقام الذى يتنافس فيه أهل الهمم العالية، والأرواح الراقية، والعزائم العالية، رغبةً فى نيل مقامٍ عظيم عند حضرة العظيم ﷻ.

كلنا سنموت، من منا لن يموت؟!! لكن العاقل والكيس الذى ينظر ما المنصب الذى اختاره لنفسه عند الحى الذى لا يموت. إياك أن تختار منصباً فانياً – ولا مانع منه على أن لا يشغلك عن المناصب الراقية، والدرجات العالية، عند رفيع الدرجات ﷻ. يعنى طلب منازل الدنيا ليست مرفوضاً، وإنما ترفض إذا شغلت الإنسان عن طاعة رب البرية ﷻ فى كل أحواله، فالمؤمن دائما مثل الصحابة، منهم من كان حريصاً على أن يكون معه هنا وهناك، وانشغل بهذا الأمر وفكَّر فيه، حتى أنه من كثرة شغله بهذا الأمر والتفكير فيه مرض!! وكان خادما له ﷺ– فأتاه النبىّ يوماً:

﴿ وقد تغيّر لونه، ونحل جسمه، وعُرف الحُزْن في وَجْهه، فقال له: ما غيّر لونَك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من وجع غيرَ أني إذا لم أرك، استوحشتُ وحشة شديدة حتى ألقاك، فذكرتُ الآخرة فخِفتُ ألا أراك هناك؛ لأنك ترفع مع النبيين والصديقين، وإني إن أدخلتُ الجنة، كنت في منزلةٍ أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة، فلا أراك أبداً ﴾ [126]

يعنى يخشى أن يذهب إلى هناك فيكون هناك فى منازل غير منازل الحبيب الأعظم والنبىّ الأكرم ﷺ ... انظروا إلى هذه القلوب التى بلغ من وهجها وشوقها وحبّها أن الله ﷻ أنزل قرآناً لها ليثبت أحوالها!! إنه لم ينزل حتى الأمين جبريل ليثبت مثل هذا الرجل، ولا حتى نزَّل الملائكة أهل الملكوت الأعلى كما جاء بكتاب الله ﴿ وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ [28فصلت]فهذا صنف لا يريد الجنة، وإنما همه أن يكون مع الحبيب فى الآخرة بعد الدنيا، فهذا الملائكة تتنزل لتبشره، بأى شىء؟ فهم يريدون أن يكون مع الرسول فى الجنة، ولا يتازلون عن هذه المنزلة!كما فى القصة، فعلى الفور أنزل الله الأمين جبريل للحبيب ﷺ بأن يبشره هو وأمثاله إلى يوم القيامة، ليس هو فحسب، وإنما هناك من على شاكلته إلى يوم الدين بأنهم يدخلون فى دائرة الإنعام .. فقال:﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ [69النساء].

126 تفسير اللباب في علوم الكتاب، وكثير غيرها

أنواع العطاء يوم القيامة

فهناك دائرة الأجر والثواب، ودائرة الإكرام، وهناك دائرة الفضل الإلهى، وهناك دائرة الإنعام كل هذا فى الحساب يوم القيامة، لكن الله قال:

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [163،آل عمران].

دائرة الأجر والثواب

من يريد الأجر والثواب، هؤلاء سيدخلون أرض الحساب، وبعد ما يناقشهم المولى ﷻ فى مقتضيات الحساب، يبيِّن لهم أن كل أعمالهم لا تساوى حسنة واحدة إذا جرِّدوا من معونة الله وتوفيقه ورعايته التى شملهم بها فى أداء عباداتهم لله، وأنتم تحفظون القصة التالية أكثر منى، قال ﷺ:

﴿ خرج من عندى جبرآئيل عليه السلام آنفا فقا يا محمد ان عبدا من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخر الله له عينا عذبة فى اسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا أمسى نزل وتوضأ وأكل الرمانة ثم صلى، وسأل ربه أن يقبض روحه ساجدا وأن لا يجعل للارض على جسده سبيلا ويبعثه الله وهو ساجد ففعل ونحن ونمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو ساجد، قال جبريل فنحن نجد فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله فيقول له الرب ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد بل بعملى فيقول الله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت النعم الباقية بلا عبادة فى مقابلتها، فيقول الله ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار، فينادى ويقول برحمتك ادخلنى الجنة فيقول الله : عبدى من خلقك ولم تك شيئا ؟فيقول: أنت يا رب، فيقول: أكان ذلك بعملك او برحمتى ؟ فيقول: بل برحمتك، فيقول: ؟ من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول: أنت يا رب، فيقول: من أنزلك فى وسط البحر وأخرج لك الماء العذب ورمانة كل ليلة وسألتنى أن أقبضك ساجدا من فعل ذلك ؟ فيقول: أنت يا رب قال فذلك كله برحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة . ﴾ [127]

يعنى الخمسمائة عام لا تكفى شكر الله على نعمة البصر التى تفضل الله ﷻ بها عليه. ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [34،إبراهيم].

---

127 تفسير حقى وتفسير نور الأذهان.(ذكرناها بتصرف)

فما بالنا ببقية النعم!! مَنْ الذى يقدر أن يدفع فاتورة كهرباء العين؟!! أو فاتورة تليفون الأذن؟ أو فاتورة تشغيل اللسان؟!! أو تحريك المفاصل والأعضاء التى جعلها الله للإنسان؟!! ومن الذى يستطيع أن يحاسب فى المطعم على الأكل الذى أكله؟!! أنت تدفع ثمن الطعام فى المطعم لصاحبه فى الدنيا ولكن هل تستطيع أن تحاسب على الهضم؟ أنت نسيت أن هذا الإنعام الذى تفضل به عليك فى البدء وفى الختام هو المنعم الأعلى ﷻ .. فصاحب المطعم جاء بنعم الله ليقدمها لعباد الله، لكن هذه النعم كلها لمن؟ لله جلَّ فى علاه. لا يستطيع أحد أن يدفع ثمن نعمة الحلاوة لأى طعم من الطعوم!! ولا يستطيع أحد أن يدفع ثمن حتى شربة ماء!!

الرجل الذى كان جالساً على أريكته وكان مملكته من المغرب إلى الصين (هارون الرشيد) ومرَّتْ سحابة فنظر وقال لها: (أمطرى حيث شئت، فسوف يأتينى خراجك)، زكاة ما يخرج من الزرع ستأتى إلىَّ لأن أرضى واسعة فحيث أمطت تكون فى مملكتى ! دخل عليه رجل صالح وقال:

﴿ ياهارون، لو مُنِعْتَ من شُرب الماء بكم تشترى الشربة؟ قال: بنصف مملكتى ! قال: فلو شربت الماء ومُنِعْتَ من إخراجه، بكم تشترى البولة؟ قال: بملكى كله ! قال: فما غرورك بملك لا يساوى شربة وبولة ! ﴾

نِعَمٌ ..يتقلب فيها الإنسان آناء الليل وأطراف النهار، لكنها تتطلب منه أن يتفكر حتى يتذكر، ليشكر الله على نعمه ليدخل فى قول الله: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [7، إبراهيم] ... فهناك أناس ستدخل الجنة وهم الذين يعملون الصالحات فى الدنيا، ويريدون الثواب عليها ولم ذلك، لكن لا تنس الذى أعانك وقوَّاك، وهيىء لك الأسباب، وجعلك من المطيعين لله ﷻ، وأمرك أن تقول فى كل ركعة من ركعات الصلاة:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة]

وإذا لم يعطنا المعونة، من الذى يقدر أن يعبد الله؟ أين اللســـان الذى يســـتطيع أن ينطق بتسبيحة واحدة إلا إذا قوّاه مولاه؟ ... فإذا طلبت ثواب التســـبيحة فتذكر معونة مولاك، وأنه أمدَّك بهذا المدد الإلهى، حتى لا تدلّ على الله، أو تزهو بطاعتك على مولاك، أو تفتخر بأعمالك على مَنْ أولاك. ويمكن الغافلون عن هذا المقام يريد الرجل منهم أن يحاســـب ربَّه!! والكثير فى بقاع الإســـلام يريد أن يحاســـب ربنا!! كيف؟ إذا جاءت عليه شـــدة يقول لله: كيف يحدث هذا لى وأنا أصـلى وأصـوم وأحافظ على كذا وكذا من الطاعات؟ ما معنى هذا؟ يريد أن يحاسـب ربنا!! أنسـيت قوله ﷺ:

﴿ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [128]

[128] صحيح البخارى ومسلم عن ابن عباس.

فنظرة فكر بيقين تجعل العبد يعترف أن العمل لا يتم إلا بتوفيق ومعونة رب العالمين. لو وصل إلى هذا الحال فسينتقل فى الحساب من دائرة العدل إلى دائرة الفضل. أين دائرة الفضل فى كتاب الله؟ اسمعوا واعوا:

﴿ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ﴾ [16الأحقاف].

يختار الأعمال الطيبة التى فيها اخلاص، والتى فيها خشوع، والتى فيها خضوع، والتى فيها عبودية وحضور قلب مع رب البرية، والتى فيها حسن متابعة لخير البرية، والتى فيها إحساس العبد بالذل والافتقار للمولى ﷻ، والحاجة الماسة إلى الغنى الأعلى ﷻ، ويقبلها، ويضاعفها: ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء]، هذا يسمى حساب الفضل ولذا فالأكياس من السابقين قالوا دائماً: ﴿ اللهم لا تحاسبنا بعدلك، فإنك إذا حاسبتنا بعدلك على أرجى عمل عملناه هلكنا، وحاسبنا بفضلك، فإذا كنا كلنا ذنوب وحاسبتنا بفضلك نجونا ﴾ ، فالعمل لا يتم أبداً إلا بمعونته وتوفيقه وحوله وطوله، فكما قال أصحاب الرسول :

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبِّتْ الأقدام إذ لاقينا

هذه دائرة، وهناك دائرة أعلى هى دائرة الإكرام التى قال الله فيها:

﴿ وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) ﴾ [الأحزاب]

وقد ألمحنا إلى قبس من هذة الدائرة ســابقاً، فالأجر الكريم يكون على قدر الكريم، وليس على قدر العمل، ولا يستطيع أحد أن يقدر قدر الكريم ﷻ؟!! وإليه الإشارة فى حديث أجر الصوم المعروف والمذكور آنفاً عن رب العزة ﷻ : ﴿ كل عمل ابن آدم يضاعف. الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله ﷻ: إلا الصوم. فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ [129]

فالصــوم لكونه فيه الإخلاص لله، فأنا الذى أضــع المكافأة.فالأعمال من يضــع الأجر لها؟ الكرام الكاتبين بحســب اللوائح من رب العالمين، لكن الصــوم ليس له فى هذه اللوائح، بل يرفعون الملف بالكامل إلى الله ﷻ وهو ســبحانه الذى يقدر ثوابه. والأعلى من هذا، الجماعة الذين نظروا نظرة بيقين، فقالوا: الحديث يقول: ﴿ الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . . . إلا الصوم. فإنه لي ﴾ ثم ماذا؟ ما جزاؤه؟ ﴿ وأنا أجزي به ﴾ .يعنى: أنا الجزاء!! يعنى: التمتع بالنظر إلىَ جمالى وكمالى ووصالى يوم لقائى، هو جزاء الصائمين، وإليه الإشارة بقول الله: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣) ﴾ [القيامة]، فهؤلاء قال لهم الحبيب ﷺ – لا تصــوموا للأجر والثواب، وإنما: ﴿ صوموا لرؤيته ﴾ [130] يعنى: من أجل رؤيته، فالأعمال على قدر النيات، فاجعل صــيامك من أجل رؤيته يوم تلقاه. وقال فى الحديث الآخر: ﴿ للصائم فرحتان: فرحة عند فطره ﴾ – والفرحة الأخرى متى؟ ﴿ وفرحة عند لقاء ربه ﴾ [131] هذا هو الأجر الأعظم، لأنه صام من أجل رؤية الله، ليدخل يوم القيامة مع الجماعة الذين دخلوا فى الأجر الكريم، الذين جعل الله لهم أعلى التكريم، وهو النظر إلى وجــــــــــــــــــه الله ﷻ:

﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [26،يونس]. الحسنى هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه الله كما ورد عن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ، فالأجر الكريم أعلاه وأرقاه النظر إلى وجه الكريم ﷻ يوم القيامة، والســـر فى هذا كله هو النيات التى تدور فى القلوب قبل أوأثناء أوبعد الأعمال والعبادات والأذكار التى يتوجه بها العبد إلى ربه، فراقبوا نياتكم!

129 صحيح مسلم عن أبي هريرة.
130 صحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة.
131 صحيح البخارى ومسلم عن أبي هريرة.

والأعلى – وهذا هو الإنعام، فبم ينعم؟ ومن الذين ينعم الله عليهم؟

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۞ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [69–70النساء].

ليس أجراً، وإنما .. فضـــلاً ..فمن المؤمنين من ينعم الله ﷻ عليه بمقعد صـــدق عند مليك مقتدر... ومنهم من ينعم الله ﷻ عليه بجوار رسـول الله ﷺ فى دار الجنة ... ومنهم من ينعم الله ﷻ عليه فيعطيهم نصيباً من مقام الشفاعة، فيعطيه شفاعة عامة ينزل بها إلى أرض الموقف، فمنهم :

العلماء: ﴿ يقول الله للعلماء يوم القيامة: اصعدوا منابركم واشفعوا لمن شئتم، فإني لم أترك حكمتي في قلوبكم وأنا أريد أن أعذبكم ﴾ والفقراء: ﴿ إنه لَيُنَادِي المُنَادِي يَوْمَ القِيَامَةِ، أين فقراء أمة محمد ؟ قوموا فتصفحوا صفوف القيامة ألا من أطعمكم في أكلة أو سقاكم في شربة، أو كساكم في خلقا جديدا، خذوا بيده فأدخلوه الجنة ﴾ 132

فشفاعة العلماء واسعة لمن أرادوا ولا يريدون إلا ما أحب الله لأنهم العلماء الحكماء، وياهناء من أســدى معلافا واحاً لأحد من الفقراء! هذا نصـيب من الشـفاعة التى يمنُّ الله بها على البعض والأنواع عديدة ولا يشفع أحد إلا بإذن الله ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [255البقرة].

ومنهم من يمنُّ الله ﷻ عليه فيجعل له فى الموقف العظيم منبراً من نور قدام عرش الرحمن، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس وهم الآمنون، كما قال ﷺ: ﴿ إِنَّ للهِ عِبَاداً يُجْلِسُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يُغْشِي وُجُوهَهُمُ النورَ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الخَلائِقِ ﴾ 133 ومنهم أهل الغرف اللذين يترآى حَسـنهمً لأهل الجنة كما تترآى الشـمس لأهل الدنَيا فى أفق السـماء، وقد فصـلنا مقامهم وأعمالهم فيما سبق من فصول الكتاب.

132 حديث العلماء فى الترغيب في فضائل الأعمال عن ابن عباس، وحديث الفقراء: ابنُ عساكر عن أنسٍ ﷺ.
133 رواه الطبرانى وإسناده جيد.

فالمؤمن الكيس الفطن الذى يحرص فى الدنيا على الدرجة التى يخرج بها من هذه الحياة، ولذلك رُوِىَ أن رجلاً من الصالحين فى أنفاسه الأخيرة، وهو الشيخ ابن الفارض ﷺ – وفى اللحظات الأخيرة يرى الإنسان مقامه فى الجنة إن كان من المقربين – فرأى منزلته العالية فى الجنة، فأنشد قائلاً:

فإن تك منزلتى فى الحب عندكم . . .ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

لماذا؟ لأنه كان له طمع فى منزلة أعلى وأرقى، يريد بشرى: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء].

وسيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ حدق وأطال النظر، وقال لمن حوله: إنى أرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، وأرى خضرة الجنة، وقال:﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات]. وفاضت روحه فهو قد نال مناه، وحقق أمنيته التى كان يتمناها من الله وهو فى هذه الحياة.

فالأمنية تكون على قدر النية والعزيمة الباطنية التى تعزم عليها فى باطنك، وما دمت قد علمت أن الله ذو فضل عظيم، وأنه يختص برحمته من يشاء، وأنه يجتبى إليه من يشاء، وأنه يعطى مَنْ يشاء ما يشاء – لأنه لا يسأل عما يفعل – فاعمل بنصيحة حبيبك ونبيك ﷺ:

﴿ إذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَأَعْظِمُوا الرَّغْبَةَ وَاسْأَلُوا الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ ﴾[134]

اسأل الله وإياك أن تسأل الله شيئاً محدوداً، وإنما اطلب الفضل العظيم، اطلب الإنعام، اطلب التكريم، فأنت تطلب من العظيم!! والعظيم ﷻ يستحى أن يرفع إليه عبده يده يسأله ويردها صفراً من عطاياه.

فالصالحون يعلموننا أننا فى الدنيا مسافرون، فإلى أين نذهب؟ ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق].....

فنهاية قطار الدنيا فى محطة .. إسمها :

. . . . . "ها أنت وربك" . . . . .

134 إخرجت الإمام مسلم من حديث أبى هريرة ﷺ.

هل تعرفون هذه المحطة؟

إن كان ذلك! فما الذى جهزته للحظة الوصـــول؟ وهى تأتى بغتة فى أى لحظة؟ فلابد أن تكون جاهزاً للقاء الكريم ﷻ، فيإخوانى القراء الكرام ! خبرونى بربكم لمن نترك هذه المنازل العالية إذا كنا نريد التنعم بالدنيا فقط! وهل نعيمها يدوم! إذا تنعَّم بالأكل، فبعده عذاب المرض! وإذا تنعم بالصحة فبعدها داء الكِبَر والهرم! وإذا تنعم بالأولاد فسيفارقونه ويرحلون أو يتزوجون ويصير فى بعاد، لا يتنعم إلا بما يدوم ولا يدوم إلا الحى القيوم.

فما الذى جهزته عندما تخرج من الدنيا لتفوز بالمنازل العالية، والدرجات الراقية، التى تريدها عند الله ﷻ؟ فنفكر بعضنا، ونذكر بعضنا، حتى لا ننسى ونحن فى مسيرة الدنيا أن الله ﷻ اختصنا، وقد قال لنا كلنا:

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [78الحج]

انتبهوا أنه اصطفاكم، واجتباكم واختاركم على سائر الأمم، ولم يكلفكم بشىء فيه مشقة ولا عنت، ولا تعب ولا عناء، إن كان للأجسام أو أى شىء فى هذه الحياة، رغبة فى رضاء الله جلَّ فى علاه، وإنما يسَّر الأمر علينا وجعل الأمور كلها مبنية على النيَّة. وما تطلبه النيَّة هو طهارة القلب، فإذا طهرت القلوب صفت النوايا، وعلت الهمم، واشتاقت الأرواح إلى المقامات العالية عند الكريم الفتاح ﷻ.

فكل المطلوب أن نصفى النفوس، ونطهرالقلوب، ونعلى النوايا، والعمل قد يكون هو العمل. فكلنا صلينا العشاء مع بعضنا لكن هل كلنا فى الأجر متساويين مع بعض؟ لا، ففى الأثر: ﴿ إن الرجل ليصلى بصلاة أخيه وبينهما كما بين المشرق والمغرب ﴾. فى أى شىء؟ فى النوايا والقلب. هل القلب الساهى اللاهى الغافل مثل القلب الحاضر بين يدى من يقول للشىء كن فيكون؟ من يصلى ويبغى رؤية الخلق كمن يصلى وملأ قلبه بالإخلاص فى هذا العمل للواحد الأحد الحق ﷻ؟ ... كل الموضوع فى النوايا والطوايا، وهذا ما يقوم به المهندسون الربانيون – وهم الصالحون والعارفون – ويحاولون معنا حتى يصححوا فينا النوايا ويصفوا الطوايا، ويوجهوننا الوجهة الصحيحة، ثم يقولون لنا: ها أنت وربك، توكل على الله، وفرَّ إلى الله، واذكرنا بدعوة صالحة عند مولاك ﷻ، ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾ [الإنسان].

نسأل الله ﷻ أن يعلِّى هممنا وأن يقوِّى عزائمنا وأن يلهمنا رشدنا، وأن يفقهنا فى ديننا، وأن يفقهنا فى أسرار القرآن، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الخامس

أصناف أهل الجنة يوم القيامة 135

- **أصنافٌ أربعة**
- **الجنة بغير حساب:**
- **البركة**
- **الصابرون وما أدراك من هم!**
- **يسرُ الحساب.**
- **عسرُ الحساب.**

الفصل الخامس

أصناف أهل الجنة يوم القيامة

أصناف أربعة

إخوانى القراء الكرام .. عليكم من الله التحيـة والإكرام .. النـاس فى الموقف العظيم يوم القيامة تجدونهم أربعة أصـناف : ... صـنفٌ يدخل الجنة بغير حسـاب، وصـنفٌ يدخل النار بغير حساب، وصنفٌ يحاسبوا حساباً يسيراً، وصنفٌ يحاسبوا حساباً عسيراً! فمن هم حتى يحدد كل واحدٍ منا موقفه من الآن، فاليوم عملٌ ولا حساب وهناك حساب وليس هناك عمل!

كله يعتمد على مافعلته هنا، فالمحتاج هناك ولو لحسـنة واحدة لكى يكون فى طائفة من هذه الطوائف يقولون له إبحث لك عن أحدٍ يعطيك هذه الحسـنة، فيبحث عن أحدٍ يعطيه فلا يجد! الأم تقول من الذى يعطينى؟ إبنى! .. تذهب لإبنها وتستعطفه وتقول له : يا بنى قد كان بطنى لك وعاء، وثديي لك سقاء، وحجرى لك وطاء، فهل أجد عندك حسنةً واحدةً أثقّـل بها ميزانى! فيقول لها : هيهات هيهات ليتنى أجد ذلك يا أماه إنّ أعانى مما منه تعانين. !! ...لكن موضـوع الفرار ليس لنا :﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴿٣٤﴾ وأمه وأبيه ﴿٣٥﴾ وصاحبته وبنيه ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس] هـذا للمرء الكافر، لكن المؤمنين ليس بينهم فرار، ولكن نحن يساعد بعضنا البعض، والرسول الكريم ﷺ قال لنا ذلك :

﴿ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الإِخْوَانِ فَإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [135]

كل واحد له شفاعة . فيذهب الواحد منا هنا وهناك، ويقول يا رب أنا كنت مصاحب فلان .. فيقول الله : ما رأيك يا فلان ؟ فيقول : يارب أعف عنه من أجلى .. فنحن لنا شـفاعة هناك، والمؤمنين يشفعون لبعضهم ويعينون بعضهم بعضاً، وبلآية لنا واضحة جلية ففى سورة الزخرف:

﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴿٦٨﴾ ﴾

---

135 (ابن النَّجَّارِ) في تاريخِهِ عن أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.

ليس هناك خوفٌ ولا حزنٌ – الإنســـان يخاف على نفســـه ويحزن على غيره ولايحزن على نفسه، فسيدنا أبو بكر عندما كان فى الغار لم يَخَفْ على نفسه، بل كان خائفاً على رسول الله، ولما تحدّث معه قال له لا تحزن، أى لا تحزن عليّ إن الله معنا – فنحن والحمدلله تحت قول الرحمن (الزخرف):

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

كل واحد يأخذ زوجته فى يده ويدخلا معاً الجنة ويُزفّا كالعُرس كما كانوا، ولكن ليس كزفاف الدنيا، فمن الذى يزفّهم ؟ ملائكة الجنة! ملائكة الرحمة ! والأولاد :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [الطور]، ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف] نحن المتقون فلا عداء وإنما نحن مع بعض وننفع بعضنا ولا أحد منا يفرّ من أخيه، بل سنبحث عن بعضنا.

قال رسول الله ﷺ:

﴿ تُحْشَرُ هٰذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنافٍ صِنْفٌ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ، وَصِنْفٌ يُحاسَبونَ حِساباً يَسيراً ثُمَّ يَدْخلونَ الجَنَّةَ، وَصِنْفٌ يَجيئونَ عَلى ظُهورِهِمْ أَمْثالُ الجِبالِ الرّاسِياتِ ذُنوباً، فَيَسْأَلُ اللهُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقولُ: ما هٰؤُلاءِ ؟ فيقولونَ: هٰؤُلاءِ عَبيدٌ مِنْ عِبادِكَ فيَقولُ: حُطوها عَنْهُمْ، واجْعلوها عَلى اليَهودِ وَالنَّصارى، وأَدْخِلوهُمْ بِرَحْمَتي الجَنَّةَ ﴾ [136]

إذاً الناس أربعة أصناف :

136 رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين والطبرانى والديلمى عن أبي موسى ﷺ ، وكذا روى الحاكم عن أبي بردة عن أبيه وصححه على شرط مسلم.

الصـنف الأول: ونريد أن نكون جميعاً منهم إن شـاء الله يدخلون الجنة بغير حسـاب، فلا حسـاب ولا صـراط ولا شمس ولا عرق ولا ميزان وليس لهم علاقة بهذا الأمور ..فمن القبور إلى القصور ... فمنهم من يُركّب له أجنحةً يطير بها إلى الجنة، وحضرة النبى قال فيهم :

﴿ فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ أَجنِحَةً مِنْ ذَهَبٍ مَخُوَّصَةً بِالزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ فَيَطِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَهُمْ بِمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ أَعْرَفُ مِنْهُمْ بِمَنَازِلِهِمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ [137]

ومنهم من تأتى لهم الملائكة تأتى بركوبة من الجنة فيركبونها ويسـافروا إلى الجنة على الفور، ومنهم كذلك الذى تزّفه ملائكة الرحمة ويدخلونه الجنة على الفور، والقرآن تحدث عنهم فقال:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾
[الأنبياء]

حتى صوتها الذى يسمع على مسيرة خمسمائة عام أو سفر خمسمائة عام لا يسمعونه فهم بعيد عن كل هذا! ففيما هم :﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الفزع والهلع الذى نسـمع عنه يوم القيامة لا شـأن لهم به:﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء] تفضـلوا أنتم إلى الجنة فوراً ..فمن كانت أعمال هؤلاء، اسمعوا ماذا أجابوا الملائكة:

﴿ خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذِهِ الْمَنْزِلَة بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللّهِ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُمَا فَيَقُولُونَ: كُنَّا إِذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه وَنَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِمَّا قُسِمَ لَنَا ﴾ [138]

قالوا أنهم كانت فيهم خصـلتان! ولكنهم بلغوا المنزلة .. لا بالخصـلتين ولكن .. بفضـل رحمة الله! ولذا لم يذكروا الخصـلتين حتى أعادت الملائكة السـؤال وطلبت تفصـيل الخصـلتين! فانتبهوا إلى كمال أدب أهل هذا المقام الراقى وكيف أرجعوا كل شيىء إلى فضل رحمة الله وعطفه، إذ لو لم يكن منه الرحمة والفضـل والعطف ما كان منا شـيءٌ أبداً سـوى "من يفسد فيها ويسفك الدماء" فقد رأت الملائكة حقائق موادنا الأرضـية التى جمعتها بنفسـها من الأرض بأمر الله ليصـنعنا الله منها! وكانت صـادقة فيما ظنَّت! ولكن السـرَّ الذى قلب الأمر هو فيما أنعم علينا به من روحه فجمَّل الطين بالنور! وعَبَدَ الفخَّار بعد الخلق الآخر مولاه ونسب الله إليه الخير ورقَّاه!

---
137 جامع الأحاديث والمراسيل عن صهيب ﷺ.
138 إحياء علوم الدين، وطبقات الشافعية الكبرى، وتخريج أحاديث الإحياء للعراقى

فالخصلتان هما .. الأولى: إذا خلونا نستحى أن نعصى الله!.سواء معنا أحد أو لا، يعلم هو من داخله أن الله مطلع عليه! فى أى زمان ومكان يراه ويسمعه، ما إسم هذه الخصلة ؟ مراقبة الله وفى الدين مقام الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهم أهل مراقبة الله .

والخصلة الثانية : قالوا كنا نرضى بالقليل من الرزق، فماذا يعنى؟ يعنى أننا نرضى بالحلال الذى رزقنا ربنا ولو كان قليلاً ظاهره! فكثير مخبره! ما دام رزقنا فهو كافينا وربنا متولينا وهادينا لا يعجزه أن يهبنا الدنيا بأجمعها ولكنه يمنع لمنفعتنا! فلا نريد إلا ما أراد! إذا كان راتباً أوتجارة أوزراعة أو كان أى عمل!!

والذى لم يرضَ بالحلال فإنه يعيش ساخطاً متبرِّما وفى الأغلب سيقفز على سور الشريعة ويتعدى حدود الله .. لماذا ؟ لأنه من لا يعجبه الحلال الذى صرفه له ذو الجلال، يريد أن يزداد! ويحقق المراد؟ فإن كان تاجراً غشّ فى البيع والميزان أو احتكر أو رفع الأثمان! لماذا ؟ لأنه غير راضٍ بالقدر الذى قدّره له الله، إذا كان مزارعاً : لايعجبه المحصول الذى أعطاه له الله فيضع موادا تضر الناس ولكنها تزيد المحصول ويضع مبيدات مؤذية ! فإن قلت الناس ستموت! لا يهم عنده، المهم تمتلئ خزانته! وإن كان صانعا أهمل فى صنعته أو جودة مهنته وأخلف ميعاده ليجمع الكثير فى الوقت والتكلفة القليل ... وقس على ذلك الكثير من المهن وأرباب الأعمال! من الذى جعله الواحد منهم يقع فى المحظور؟ لأأنه لم يرض بالمقدَّر من رزق الله المسطَّر! فكيف نعيش بالمقدور من الرزق المسطور؟؟.

نحن نقع فى اللبس بين الفارق بين ما صرفه الله لنا من الرزق المسطور! وما نريد أن نصرفه من المال المنظور! لأننا قد نسينا أن الذى يرضى بما قدّره له الله يأتيه دعمٌ من مولاه، ما إسمه؟ إسمه البركة !! وما البركة! عندما تأتى البركة فى القليل تقوم مقام الكثير! من أين هذا ؟

﴿ ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركت من السماء والأرض ﴾ [الأعراف]

لم يقل فتحنا لهم خيرات، فالخيرات كما هى لكن يضع فيها البركة، وخذوا أمثلة ، وهى أكثر من أن تعد ولا تحصى:

إذا كان الأكل فى البيت يكفى إثنين يجعله يكفى عشرة ويزيد طالما فيه البركة، وإذا كان الجلباب أو الحُلّة تبلى كل سنة! فبالبركة تمكث السنين ولا تبلى! ومن يراها يقول مبروك على الثوب الجديد!لماذا ؟ لأن فيها بركة الله ﷻ، ومن البركة قول الحكيم: ﴿من العصمة ألا تجد﴾،فكم زيادةٌ فى الرزق فتحت على العبد باب وسعة دخل منها على عصيان الله فأكلت منه الأخضر واليابس! وفتحت عليه وعلى بيته أبواب شهوات ورغبات لا يطيقون وقد عصموا منها أولاً بفقدان الوسعة!.

وكلكم يعرف قصة الذى نصحه ﷺ لما طلب زيادة أن قليل تشكر خير من كثير لا تطيق! فلم يسمع وأصرَّ! فدعا له فزاد ماله، وانتهى حتى : الزكاة هى إلا أخت الجزية! فأعقبه الله نفاقا فى قلبه إلى يوم لقياه!! أفلم يكن الفقد بركة ومنة!، ومن البركة حجز الأمراض وإبعاد الأعراض! فربما أتاك من المال الألاف ومعه مرض بعشرات الألاف فتصير أفقر! أفلم يكن المنع أغنى وأبرك! وربما فتح لك المال مصاريع المشاريع فوقعت فى أرضها قتيلاً أو صريع! فقد المسلمون البركة الآن فأطلقوا أيديهم! إذ ليس معهم:

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ۝ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق] وهذه هى البركة.

ما الذى جعل المجتمع حالياً فى غش وخداع .. لأنه لا يوجد رضـــى! ســـألوا النبى: من أغنى الناس ؟ هل من معه المليار! أو ألف فدّان .. قال: لا فالذى عنده الملايين أو العمارات والفدادين يريد أن يزيدهم فهو فقير:

﴿ لَوْ كَانَ لابنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَانِياً ، ولَوْ أُعْطِيَ ثَانِياً لابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثاً ، وَلا يَمْلأُ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ ﴾ [139] وفي الحديث: ﴿ مَنْهومانِ لا يَشْبَعانِ طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا ﴾ [140]

فمن هو أغنى الناس إذاً؟ من رضى بما قدّره الله لك من الحلال وسارع فى طاعة ذى الجلال، فأتته البركة التى تُحيّر الناس كلها فى شأنه، وهذه معجزة الإسلام المستمرة إلى يوم الدين!، تجد الناس فى المجتمع دخلهم قليل ولكنهم يعيشـــون أفضـــل من أناس دخلهم كثير!! وهم من الجماعة الذين يدخلون الجنة بغير حســاب، فالذى يراقب الله و يتحرى الحلال فى مطعمه ومشـربه ولا يسـتزيد مما يغضب الله، فهو ولى من أولياء الله!

سيدنا سعد سأل رسول الله قال : يا رسول الله كيف أكون مستجاب الدعوة ؟ ماذا أفعل ؟ لم يُعطه كماً من العبادات فى الليل أو الصـــيام فى الحر أو كم تتلوا من القرآن؟ لا هذا ولا ذاك، بل قــال لــه ﷺ: ﴿ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ﴾ [141] شـــرط واحــد : كُلْ حلالاً تكن دعوتك مستجابة! هل نريد أكثر من ذلك ! لا أظن!

---

139 سنن الترمذي عن أنس بن مالك.
140 سنن الدارمي عن ابن عباس.
141 رواه الطبراني فى الصغير عن ابن عباس.

الصابرون وما أدراك من هم!

جماعة أخرى يدخلون الجنة بغير حســـــاب فينزلون أولاً أرض الموقف ليعرف مقامهم أهل الموقف! وبعد أن نرى أحوالهم ربنا يدخلهم الجنة، من:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر]

الذى صــــبر على أمر الله فى الدنيا ولم يشـــكُه إلى خلقه فهم يذهبون إلى الموقف لكى يرى الناس حالهم أولاً ثم يصبُّ عليهم الأجر من الله صباً بلا حساب، ولماذا ذلك .. ... هنا سرُ عظيم أيها الكرام!

وأعيرونى أفهامكم !! فأهل البلاء لا يدخلون الجنة من القبور إلى القصــور مثل الفئة الأولى! لماذا؟ لأن أهل الإبتلاء كانوا فى الدنيا عرضة لمشاهدة الناس وهم مبتلون أو مرضى يزارون .. فكان البلاء علماً على رؤوســهم يصــف حالهم ويخوِّف الناس مما بهم!! فلما كانوا يسـألون ! كانوا يعطون الرضا ولا يسخطون! .. فقدَّر الله أن يعرضـهم تحت أعلام أهل البلاء فى الآخرة كما عرضـهم تحت أعلامه فى الدنيا وشتان بين العرضين!!

فعرض الدنيا كانت الناس تتحسر عليهم وتخاف ويسألون الله العافية من أن يكونوا مثلهم!! وعرض الشرف فى الآخرة أمام الجميع فيتحسر كل أهل الموقف أن الله لم يبتليهم مثلهم فى الدنيا لما يرون من تكريم الله لهم على صـبرهم فى المشـهد الأول!! فيعوضـهم الله أولا عن مشـهد إبتلائهم فى الدنيا بمشـهد إعتلائهم فى الآخرة .. ثم يصــبُّ عليهم الأجر والثواب!! كما صــبَّ عليهم فى الدنيا الإختبار أوالعذاب!، واسمعوا لحديث رســول الله ﷺ الذى يطيب النفوس عن حال أهل الصــبر يوم العرض:

﴿ إنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الْبَلْوَى، يُؤْتَى بأَهْلِ الْبَلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يُرْفَعُ لَهُمْ دِيوانٌ، وَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الأَجْرُ صَبّاً، وقرأ ﴿ إنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [142]

وروي أيضاً: ﴿ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى: مَنْ لَهُ دَيْنٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى فَلْيَقُمْ، فَتَقُولُ الْخَلَائِقُ: وَمَنْ لَهُ دَيْنٌ عَلَى اللهِ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَن ابْتَلَاهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا يُحْزِنُ قَلْبَهُ فَصَبَرَ احْتِسَاباً بِاللهِ، فَلْيَقُمْ يَأْخُذْ أَجْرَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَيَقُومُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَيْسَتِ الدَّعْوَةُ تُقْبَلُ بِلَا بَيِّنَةٍ أَرُونَا صَحَائِفَكُمْ فَمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ سَخَطٌ أَوْ كَلَامٌ قَبِيحٌ يَقُولُونَ لَهُ اقْعُدْ مَكَانَكَ لَسْتَ مِنَ الصَّابِرِينَ وَتَأْخُذُ الْمَلَائِكَةُ الصَّابِرِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَى تَحْتِ الْعَرْشِ فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ عِبَادُكَ الصَّابِرُونَ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: رُدُّوهُمْ إِلَى شَجَرَةِ الْبَلْوَى، فَيَرُدُّونَهُمْ إِلَى شَجَرَةٍ أَصْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَأَوْرَاقُهَا حُلَلٌ، وَظِلُّهَا يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِيهِ مِائَةَ عَامٍ، فَيَجْلِسُونَ تَحْتَهَا، وَيَتَجَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَاحِداً وَاحِداً، ثُمَّ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ كَمَا يَعْتَذِرُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ، وَيَقُولُ: يَا عِبَادِيَ الصَّابِرِينَ مَا ابْتَلَيْتُكُمْ إِلَّا أَرَدْتُ أَنْ أَحُطَّ عَلَيْكُمُ الْبَلَاءَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكُمْ وَأَوْزَارِكُمْ، لِأُبَلِّغَنَّكُمْ بِهِ دَرَجَاتٍ عَالِيَةً مَا تَصِلُونَ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِكُمْ، فَصَبَرْتُمْ لِأَجْلِي وَاسْتَحْيَيْتُمْ مِنِّي، وَلَا أَنْصِبُ مِيزَاناً وَلَا أَنْشُرُ لَكُمْ دِيوَاناً، ثُمَّ يَعْتَذِرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى الْفُقَرَاءِ – ثم الْعُمْيَانِ وَسَائِرِ أَصْحَابِ الأَمْرَاضِ – حتى قال: فَيَفْرَحُونَ غَايَةَ الْفَرَحِ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِرَايَاتٍ وَصَنَاجِقَ مِثْلِ صَنَاجِقِ الأُمَرَاءِ ثُمَّ تَأْخُذُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى النَّجَائِبِ وَالرَّايَاتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ سَائِرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فَيَقُولُونَ أَهَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ أَوْ أَنْبِيَاءُ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَبَرُوا عَلَى الشَّدَائِدِ فِي الدُّنْيَا، بِصَبْرِهِمْ نَالُوا، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ قَالَ لَهُمْ رِضْوَانُ مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ لَمْ يُنْصَبْ لَهُمْ مِيزَانٌ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: هَؤُلَاءِ الصَّابِرُونَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ، فَافْتَحْ لَهُمُ الْجَنَّةَ لِيَقْعُدُوا فِي قُصُورِهِمْ آمِنِينَ، فَيَدْخُلُونَ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْوِلْدَانُ بِالْفَرَحِ وَالتَّكْبِيرِ، فَيَجْلِسُونَ عَلَى شُرَافِ الْجَنَّةِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ يَتَفَرَّجُونَ عَلَى حِسَابِ الْخَلْقِ، فَطُوبَى لِلصَّابِرِينَ ﴾ [143]

وأقول دائماً أن قانون الله كما ورد: لا أجمع لعبدى أمنين ولا أجمع له خوفين !! لكن أنتم تريدون الجنة والأمن والراحة! هنا وهناك، الكافرون جنتهم هنا وهى جنة دنيّة، لكن الجنة العليّة فى الدار الأخرويّة ..

---

142 (طب) عن السيد الْحسن بن عليّ ﷺ، جامع المسانيد والمراسيل

143 تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث للنووى الحاوى،و في الجواهر للشيخ أبي الليث السمرقندي

فالمؤمنون الذين صبروا على أمر رب العالمين ﷻ، يقولون: لماذا يارب إبتليتنا بأنواع البلاء ؟ قال للتطهير أو للإختبار أو لرفع الدرجات وللإكبار!..أنتم جميعكم تقولون اننا مؤمنون، والناس جميعهم يقولون نحن مؤمنون، فكيف أميز بين هذا أوذاك، هذا يأخذ درجة جيد وهذا يأخذ درجة جيد جداً وهذا يحصل على درجة ممتاز .. كيف ؟ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ ﴾ [العنكبوت] لا بد من الإمتحانات وإعطاء الدرجات لأن المؤمنين لو لم يكن لهم إبتلاء فى الدنيا، لخرجوا متساوين وفى درجة واحدة، لكنه قال: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [163،آل عمران].

الدرجات على حسب مواجهات إبتلاءات الله فى هذه الحياة، هناك من يصبر وهناك من يرضخ وهناك من يجزع وهناك من يشكوالله لخلق الله، وهناك من يسخط ومن يتبرّم .. فلا بد للإختبار، ولكن عموما أهل البلاء ما داموا لم يخرجوا إلى غضب الله وعصيان الله بسبب البلاء فهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ومن أجمل بشريات بركة الإبتلاء والإختبار على المسلم أنه لما نزلت قول الله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾(123النساء)، قال أبوبكر ﷺ: ﴿ يا رسول الله إنا لنجازى بكل سوء نعمله ؟ فقال رسول الله ﷺ: يرحمك الله يا أبا بكر ألست تنصَب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ فهذا ما تجزون به ﴾ 144

ذهب ﷺ يزور مسلماً يحتضر فبكى، فسأله، قال: أنه يخاف النار! فقال ألم تشكو الحُمّى قط؟ قال: بلى أصابتنى مرة واحدة، قال له: أبشر : ﴿ الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ ﴾ 145

فمن أصابته الحُمّى ولو مرةً واحدة فقد أخذ نصيبه وحظّه من نارجهنّم، فلن يدخل النار وهم أيضا ممن يدخلون الجنة بغير حساب، وأختم ببشرى قول شيخى مولانا الشيخ محمد على سلامة ﷺ إذ قال لى:

---

144 عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي مسند الإمام أحمد
145 (طب) عن أَبي ريحانَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.، جامع المسانيد والمراسيل

﴿ يا بنى: ليس الصـابرون على البلاء فقط هم من يدخلون الجنة بغير حسـاب ! ولكن الله تعالى بفضـله يضـم إليهم كل الصـابرين على أداء الطاعات المفروضـات والمحافظين على الصـلوات، وهذا بفضل الله يشمل أغلب الأمة المحمدية إنشاء الله، يا بنى: ذلك فى الكتاب ألم يقل الله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه: 132) والأصطبار هو أشد أنواع الصبر ﴾ .

أما الصـنف الثانى ممن يدخلون الجنة بغير حسـاب فهم الكافر والمشـرك، جميعهم ليس لهم حسـاب ولا ميزان ولا صـراط بل يخرجون من القبور إلى جهنّم وبئس القرار ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [15الكهف] ليس لهم وزن ولا حساب!!، على جهنّم وبئس القرار.

فمن الذى يُحَاسَبْ ؟ هناك طائفتان : جماعة يحسبون حسابا يسيرا، وجماعة يحاسبون حسابا عسيرا.

يُسْر الحساب

أما الصنف الثالث فهم فجماعة الحساب اليسير، وهو عرض الحساب وليست مناقشته لأن من نوقش الحساب عُذِّب كما أخبر الحبيب، فكل ما يقع الواحد منهم فى ذنب يسارع إلى التوبة فوراً فلا يهمل ولا يؤجل ولا يقول أتوب فى رمضان! أو أحج هذه السنة وأتوب! فهل تضمن حياتك لرمضان أو الحج، لابد وأن تتوب إلى الله ﷻ عندما تذنب!، فإذا تبت وأنبت قال الله للملائكة أنظروا ذنوب عبدى هذا وأبدلوها بحسنات :

﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [70،الفرقان]

لماذا؟ لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين وعند حسابهم يأخذون الكتاب باليد اليمنى ويحاسبوا حسابا يسيرا كيف يكون هذا ؟ ربنا قال: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ [16الأحقاف]، نقبل العمل الطيب ونتغاضى عن الذنوب وحسابهم.. فكيف يتمّ هذا ؟ ... ليس أمام الخلق، فكل واحد بينه وبين ربّه ﷻ حتى لا يفضحه لأن سيدنا رسول الله ﷺ أكرمنا الله ببركته فجعل الذين حسابهم يسير ليس لهم فضيحة كيف ؟ لأن الحساب أمام الخلق يسمى عذاب الخزى وهى الفضيحة، وكان سيدنا إبراهيم ينادى ويقول :يا رب لا تحاسبنى أمام الخلق :﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الشعراء]، وربنا قال ولأجل النبى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ [التحريم] فكيف يحدث ذلك ، اسمعوا للمصطفى ﷺ وهو يقص قصة حساب المؤمن:

﴿ إنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ منهُ يومَ القيامةِ حتّى يَضعَ كَنَفَهُ عليهِ، فيَسْتُرُهُ مِنَ الناسِ، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذنبَ كذا وكذا ؟ فيقولُ: نعَمْ يا رب، فيقولُ: أتعرفُ ذنبَ كذا وكذا ؟ فيقولُ: نعَمْ يا رب، حتى إذا قرَّرَهُ بذنوبِهِ، وظَنَّ في نفسِهِ أنه قدِ استَوْجَبَ، قال: قدْ سَتَرْتُها عليكَ مِنَ الناس، وإني أغفِرُها لكَ اليومَ، ويُعْطِي كتابَ حسناتِهِ، وأما الكُفّارُ والمنافقون، فيقولُ الأشْهادُ: ﴿هؤلاءِ الذين كذَبُوا على ربِّهِمْ ألا لعْنَةُ اللهِ على الظّالِمِيْنَ﴾(18هود) ﴾ [146]

146 اسم الكتاب: صحيح ابن حبان عن صفوان بن محرز المازنى

لا يطلع أى أحدٍ على عمله حتى لا يُخزِى ولا يفتضِـــح أمرهِ فِمنِ يكون هذا يا إخوانى ؟ المؤمن التواب وحضـــرة النبى قال فيه : ﴿ كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ﴾ [147] لم يقل التائب ولو قالها لكانت توبةٌ مرّةً واحدةٌ، ولكن توابون فكل مايقع فى الذنب أو أخطأ يتوب !!. ... إيّاك أن تضحك عليك نفسك فى يومٍ من الأيام وتقول : أن هذا الذنب ليس له توبة، أوتقول أنا عملت كذا وكذا وربنا لن يتوب عليّ .. فنفســك تضـحك عليك لأن ربنا فتح لنا باب التوبة حتى خروج آخر نفس:

﴿ قل يـعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣) ﴾ [الزمر]

فلم يستثنِ شيئاً، وإياك أن تقفل باب التوبة أمام أحدا!، حضرة النبى يحكى لنا أن رجلاً من بنى إسـرائيل قتل تسـعاً وتسـعين فرداً وذهب إلى رجل عابدٍ فسـأله هل له من توبة فقال لا! فقتله وأكمل به المائة، ثم ذهب إلى عالمٍ عنده وسعة فى دين الله وسأله، فقال له : ومن يستطع أن يمنعك من التوبة، ولكنى أرى أن تترك مكانك لأنه مكان فســاد وســوء والمرء على دين خليله إذهب إلى بلدة كذا فأهلها طيبون وتُب إلى الله ﷻ، فخرج من عنده ينوى التوبة، وقبل نصــف الطريق جاء أجله، فمن يقبض روحه ؟ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب! وتنازعوا! ملائكة الرحمة يقولون أنه تاب، وملائكة العذاب يقولون أنه لم يعمل حسـنةً واحدة، فأنزل الله ملكاً يحكم بينهم! فقال الملك قيسوا المسافة بين البلدين فإذا كان أقرب لبلده يقبض روحه ملائكة العذاب، وإذا كان أقرب للبلد التائب إليها فيقبض روحه ملائكة الرحمة، فأوحى الله إلى الأرض أن تمتدّ ليصير أبعد عن بلد المعصية بشـبر، فقبضـته ملائكة الرحمة، لماذا؟ لنعرف أن الله يحب التوابين !!فكم حسـنةً عملها الرجل؟ لا شيء إلاّ انه كان ينوى التوبة إلى الله ﷻ ففى (83طه):

﴿ وإنى لغفار لمن تاب وءامن وعمل صـلحا ثم اهتدى ﴾

فإيّاك أن تيأس من رحمة الله أو تُيئس أحدا من توبة أو رحمة الله .

---

[147] سنن الترمذي عن أنس.

أما الصنف الرابع فهم من سيحاسب الحساب العسير ويقبض الكتاب بشماله ؟ من هم أعاذنا وأنجانا الله؟ ..... هم الجماعة المسلمين المتساهلين بفرائض رب العالمين ﷻ وكذلك المجاهرون بالمعاصى، كلما جلس فى مكان يتباهى بفعله ويقول : أنا فعلت كذا وكذا، أنا ضحكت على فلان وأخذت منه كذا، وضحكت على فلان وفلان وأكلت منهم كذا أى يتباهى بالمعصية والكبائر التى سترها ربنا عن الناس ، ربنا ستره فيفضح هو نفسه فقد قال فيهم ﷺ :

﴿كُلُّ أُمَّتِي مُعَافىً إِلاَّ الْمُجَاهِرُونَ﴾ [148]

ويُسّـوف فى التوبة ويقول مازال الوقت معى !يافلان تُب .. يقول حتى أحال إلى المعاش .. يافلان تُب إلى الله ﷻ .. يقول : حتى يكبر الأولاد .. يُسوّف توبته حتى يوافيه الأجل ولم يتُب إلى الله ﷻ، فيخرج من الدنيا بدون توبة، فلابد أن يدخل المحكمة الإلهية ويقف فى أرض الموقف ويُعرض على رب العزّة ويأخذ أحكام وينزل يقضى الأحكام فى سجون الملك العلاّم إذا كان لم يُصلىّ فينزل على سجون سقر :

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ - مالذى جاء بكم إلى هنا؟ - قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ - لم نكن نصلىّ - وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾. وكنا نجلس على المقاهى ونحكى عن فلان وعلاّن. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ - وكنا نسوّف التوبة ونقول لايزال الوقت معنا - وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ -الموت- ﴾ [المدثر].

فالمتساهلون فى فرائض الله والمستهزئين بطاعة الله والمستخفين بالمؤمنين والطائعين و المقيمين فى الدنيا على المعاصى ويُسوّفون التوبة إلى ان يأتيهم الموت!، فلابد ان يأخذوا حكماً ويدخلوا إما سجن سقر، وإما يقضيه فى لظى وإما يقضيه فى الهاوية أو جهنّم .. وكل عقوبة لها عذاب مخصوص ولها أناسٌ مخصوصين !! وبعد ما ينزلوا للعذاب ولأنهم قالوا: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فيدركهم ربهم بشفاعة رسول الله بعد أن ينالوا نصيبهم من العذاب ويقضوا ما حقَّ عليهم من الهوان والعقاب!!.

نسأل الله العظيم ان يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب، وأهلنا وإخواننا وجيراننا ومعارفنا وجميع المسلمين من البدء إلى الختام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم والأصحاب.

[148] رواه الطبراني فى الصغير والأوسط عن أبى قتادة الأنصارى.

خاتمة جامعة

سعة رحمة الله بالمؤمنين

- **ماذا أعددت لنفسك هنالك؟**
- **رحمة الله بأهل الإيمان**
- **أحوال الناس عند الموت**
- **إكرام الله للمؤمنين عند الموت**
- **بشرى الختام**

ماذا أعددت لنفسك هنالك؟

يضرب الله للمؤمن فى كل حال الأمثال لما بينه وبين الكبير المتعال :

﴿ وتلك الأمثل نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ [21الحشر]

ففى أيام الصيف القائظ نشكو جميعاً من الحر، والكل يبحث عن الظل ليأوى إليه، والفقير يبحث عن المراوح التى تروّح الهواء عليه، والغنى يعتنى بالمُكيّـــفات التى تُهيء له الجو والكل يبحث عن شـــربة ماءٍ باردة تطفئ ظمأ العطش عنده، والحرارة قد لا تزيد عن الأربعين درجة!، والشـــمس بيننا وبينها ستة وتسعون مليون ميلاً ، ولو إقتربت أكثر مما قدره الله لأهلكت كل أنواع الحياة على ظهر الأرض من شدة حرارتها ..

أفلا نتذكر يوماً نُبعث جميعا فيه .. وســنكون وقوفاً جميعاً فيه والشـــمس فوق الرؤوس تدنو حتى لا يكون بينها وبين الناس إلاّ قدر ميلٍ واحدٍ، يعنى حوالى كيلو متر ونصـــف، وهى حرارة بلا نور !! كيف يكون الحال وكيف يكون الشأن ؟

يشتد الظمأ حتى أنّ كثيراً من أهل الموقف من شدة ظمأهم تنزل ألسنتهم ولا تزال تنزل حتى تطأها أقدامُهم ... ويعرق الناس يغزر العرق حتى أن من الناس من يبلغ عرقه إلى فخذيه،ومنهم من يبلغ عرقه إلى سُـــرته، ومنهم من يبلغ عرقه إلى صـــدره، ومنهم من يكون غارقاً كله فى عرقه ، وكله بقدر الواحد الأحد فلا عرق أحد يختلط بأحد فكل له فلك حوله لا يشـــاركه فيه أحد!.. فما المخرج ؟ .. ألم نتدّبر يوماً أو ساعة فى ذلك ؟ ألم نسمع قول الله جلّ فى عُلاه:

﴿ يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر]

وغدٍ فى الآية ليس غداً، ولكن اليوم الآتى أى يوم القيامة، فماذا أعددت لنفســـك فى هذا اليوم العظيم؟؟؟؟؟

هل حجزت المراوح أو التكييفات؟ هل حوّلت رصيداً هناك لكى يكون لك موقفٌ أو مكان تحت المظلات العرشـــية؟ أو اشـــتريت لك منبراً من المنابر النورانية؟ أو حجزت عموداً من أعمدة الياقوت العلية؟ وما أدراك ماهى؟ هل ضـــمنت شـــربة من نهر الكوثر؟ أو شـــريت مركب اللؤلو أو حجزت زوج أجنحة الزبرجد! فإن انشق عنك القبر ونفخت فيك الروح طرت لقصرك فجلست فى الشرفات مع حورك! تشاهد وتتفرج! فترى الموازين والصراط وتطاير الصحف وجحوظ الأحداق! والملائكة تصيح من الهول سلم يارب سلم !!وأنت مرتاح قلبك! والغرقى فى العرق يصيحون! وأنت وزوجك تمرحون! فإن اشـتقت تعلم أين أحد ممن عرفت فى الدنيا أطلعت ببصـرك الحديد فرأيته فى الحال قريبا من بعيد! وعرفت موقفه بلا ســؤال! فإن شـــأت خاطبته من مكانك! أو نزلت إليه محفوظا! لا تشعر بحرارة ولا مرارة؟ بل النار تستغيث من نورك وترجوك أن تسرع بمرورك!

فالمؤمن الزكىّ الكيس الفطن هو الذى يســتعد بشـــىء من ذلك! ويتأهل من هذه الدار بما يصـــلح هنالك لأن الله بين لنا ووضـــح كل المهالك، فالحمد لله عَلِمَ الله ﷻ ضـــعفنا فبين لنا من التعاليم الإلهية والأحكام القرآنية والتشـــريعات الربانية ما يجعلنا يوم القيامة كأننا فى يوم الفرح ويوم السرور ويوم البسط ويوم الأنس بالله جلّ فى عُلاه!! ولم يتركنا سُدىً لنتخبّط بأفكارنا أو أن نمشى فى هذه الحياة على حســب أهوائنا وعلى حســب شــهوات نفوســنا بل جاءنا بالخير القويم والمنهج المستقيم مع السيد السند الرؤوف الرحيم ﷺ حتى إذا خرجنا يوم القيامة وكانت الخلائق أجمعون فى كرب الحســاب مجتمعون وفى شــدة العناء والبلاء ســاقطون .. لكن كل واحدٍ منا يقول أمام الخلق أجمعين وهو فرِحٌ ومسرورٌ وينادى فى حبور :

﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾ [الحاقة] .

وهنا ونوضح أين تشترى المعدات! وكيف تستعد لما هناك؟

فجعل الله لنا هذا التشـــريع الربانى الحكيم، وجعل لنا باتباعه ظلاً فى الموقف الكريم .. أين هو؟ تحت ظلّ عرش الرحمن يوم لا ظلّ إلاّ ظله، يأوى إليه المؤمنون المستقيمون على شرع الله! فإذا خرجوا من الدنيا يأوون إلى ظلّ الرحمن، وهؤلاء هم العامة من المؤمنين وثمن مقعد الظل تحت العرش هو المحافظة على فرائض الله ولا نؤخرها عن وقتها كما طلب منا الله إذ سمعوا:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء] فحافظوا على التوقيتات الربانية لأداء هذه الشريعة الإلهية، لا يجمعون فرضين، ولا يؤخرون فريضة إلى الفريضة الأخرى بدون عذرٍ شرعى، لا ينادى منادى الله إلاّ وهم جاهزون للقاء الله .. تطهروا وتوضأوا وتزينوا وأخذوا زينتهم كاملة، وإستعدوا وتهيأوا للقاء الله جلّ فى عُلاه، أولئك هم الآمنون يوم لقاء الله .. إسمع إلى بشرى الله ﷻ وهو يقول لهم :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام] لهم الأمن فى يوم القيامة من الهلع والفزع والجزع والخوف وشدات الموقف وحرارته، هم آمنون من ذلك لأنهم تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظلّ إلاّ ظله.

وجعل الله ﷻ لهم من جملة الإكرام والإنعام الذى يقدّمه لهم يوم العرض والزحام بسبب تسابقهم وتسارعهم إلى فريضة الصيام، فقد جهّز لهم حوضاً أطمأن ﷺ بنفسه على تجهيزاته وأعد أكوابه وأباريقه وجعل لكل مسلم ومسلمة منا كأساً خاصّاً عليه إسمه ونعته ووصفه وقال لنا عنه:

﴿ آنِيَتُهُ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ ﴾ وأباريقه: ﴿ الذهَبِ وَالْفِضَةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ أَوْ أَكْثَرُ ﴾ [149]

وقد يكون ممن يسقيهم حضرة النبى بذاته ويقدّم لهم الشربة بيدة، وقد يكون من الذين يُسقيهم الله عزّ فى عُلاه، وفيهم يقول الله فى كتابه: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان]، وقد يكون من يحمل إليه شربته الملائكة الكرام، فبمجرّد أن يخرج من البرزخ ويستعد للحساب يذهبون إليه بشربةٍ من هذا الشراب، فلا يجد الظمأ أبداً ولا الجوع أبداً، ولو كان حتى يقف مقدار ذلك اليوم ومقداره كما قال الله : ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج] فهنيئاً لكم معشر المؤمنين بهذا الأجر الطيب من رب العالمين .

149 رواه أحمد عن حذيفة.، وأباريقه : مسند الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أما المكرمين .. اما المقرّبين .. اما الذين رفع الله ﷻ شـــأنهم يوم الدين أنهم فى الدنيا رفعوا شرعه ورفعوا قدر حبيبه وصفيّه ونبيّه وكانوا يتنافسون فى الدنيا فى الخيرات وفى عمل الصالحات وفى النوافل والقربات، وفى السعى لقضاء مصالح المسلمين والمسلمات، فهؤلاء يا إخوانى من القبور إلى القصـــور، يجلســـون فى تكييف الجنة الذى يقول فيه الله ﷻ فيه : ﴿ **لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان] لا فيها حرارة ولا فيها برودة، ولا فيها رطوبة ولا جفاف ولا خشونة.. فيها حياة راضية فى جنة عالية قطوفها دانى .. أين هؤلاء يوم العرض والحساب ؟ فى شرفات قصور الجنان يجلسون وعلى أرائكهم للخلق فى الحساب ينظرون كما قال الرحمن:

﴿ **عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴿٢٣﴾ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴿٢٤﴾ **يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ** ﴿٢٥﴾ **خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين]

نحن جميعاً نعجب إذا رأينا شفقة أمٍ تفدى إبنها بنفسها، وتؤثره على كل شيءٍ عندها، تجوع وتطعمه، وتظمأ وتسقيه، ولا تدخر وسعاً فى سبيل نيل كل ما يُرّضيه ولا ترجو بعد ذلك شيئاً من هذا الغلام أو هذه البُنيّـة، لكنها جبّلة إلهيّة وخطرة ربانية جعلها الله ﷻ فى الأم ، وكذلك الآباء لا يحب الرجل أن يكون أحداً أفضل منه أو أكرم أو أسعد منه حالاً إلاّ إبنه، يرضى بالفقر ويفرح إذا كان إبنه غنيّاً ولو لم يعطه أو يعطف عليه فى فقره، ويفرح إذا تَبَوّأ إبنه منصباً شريفاً ولو لم يعد عليه شيئاً من منصبه وشرفه .. جبلةّ وفطرةً جعل الله ذاك مثالاً لنعلم إذا كانت هذه رحمة الأب والأم بأولادهما، فما بالكم بأرحم الراحمين ﷻ.

رأى النبى إمرأةً فى غزوة من الغزوات مع الكفاروقد ضاع ولدها ولدها فأخذت تبحث عنه كالمجنونة حتى وقعت عليه وإرتمت عليه وإحتضنته وأرضعته، فقال النبى ﷺ لأصحابه يعلمهم بالسؤال والجواب:

﴿ أَتَرَوْنَ هذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النّارِ ؟ قُلْنَا : لاَوَاللّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا ﴾ [150]

رحمة الله يا إخوانى بنا لا تُعد ولا تُحدّ،ولو علمنا – على قدرنا– سعة رحمة الله بنا ما إلتفتنا عن وجهه وعن ذكره وعن شكره وعن طاعته ﷻ طرفة عين ولا أقل .. فلم يقل : إن الله يحب العابدين أمثالنا أو المصلين أو الصائمين أو القائمين أو التاليين! ولكنه يُنبئ لنا عن رحمته فيقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة]

علم ضعفنا وعلم جهلنا وعلم أن النفس تتقلب علينا ففتح لنا أبواب التوبة بلا حدود حتى إذا أخطأنا أو سهونا أوجهلنا أو نسينا، نرفع أكفّ الضراعة ونقول يا رب، فإذا تبنا .. قال : وأنا قبلت، إذا تبت يقول تعالى للملائكة: يا عبادى إفتحوا أبواب السماوات لقبول توبته ولدخول أنفاس حضرته، فلنفس العبد التائب يا ملائكتى أعزّ عندى من السماوات والأراضين وما فيهن! نعم يا أخى أنظر إلى رحمة الله وإلى شفقة الله ..

150 رواه البخارى ومسلم عن عمر.

قارون آتاه الله مالاً يعجز الجمع الكثير عن حمل مفاتيح خزائنه حتى رأى انه هو وحده الذى يستحق الوجاهة فى بنى إسرائيل، ولم يرى منافساً له فى الوجاهة بين بنى إسرائيل إلاّ نبى الله موسى عليه السلام، فضاق ذرعاً بذلك، فأراد أن يُسقط مكانته بين بنى إسرائيل فى زعمه لينفرد بالجاه والوجاهة، فانتظر حتى جاء عيد لبنى إسرائيل،وإتفق مع إمرأة بغّى أن يعطيها مالاً كثيراً على أن تتهم موسى على الملأ من بنى إسرائيل عند إجتماعهم للعيد أن موسى ارتكب معها الفاحشة، وأخذ يُمهّد لذلك ويقول للجمع أنكم ستسمعون نبأً هائلاً عن موسى يوم العيد، ونسى أن الله عز وجل آلى على نفسه ﴿ إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (38الحج) أى تعهّد بذاته على أن يدافع عن الذين آمنوا، فبيده مقاليد الأمور وتقليب القلوب، لا يقلبها ولا يُلقى فيها الخواطر إلاّ هو!!، فجاءت المرأة فى هذا اليوم المعهود وقد تجمّع الناس جميعاً وجلس قارون على كرسىّ من ذهب وله تاج من جواهر ينتظر إتمام خطته وبلوغ نيته، لكن الكريم غيّر قلب هذه المرأة فقالت فى نفسها : إنكِ لم تفعلى خيراً قط، فقولى اليوم الحق لعلّ الله عز وجل يغفر لك ويُدخلك الجنة، فلما قدّمها قارون، وقال إنها تزعم أن موسى فعل معها كذا وكذا .. قالت المرأة : لا .. أنت الذى قلت لى : قولى ذلك، على أن تعطينى مبلغ كذا وكذا من المال، فغضب موسى وكان عنده حدّة فى الغضب للحق,

فقال يا رب أيصل الأمر أن عبدك ونبيك يوصف بالزنى، واخذ يُلحّ على الله حتى قال له مولاه– وكان كريماً على الله– : مُر الأرض بما شئت فهى طوع أمرك .. فقال موسى للأرض : يا أرض خذيه، وأشار إلى قارون فانشقت ؟ الأرض وهمّت أن تبتلعه فقال قارون : تبت يا إبن الخالة، فلما سمعت الأرض كلمة تُبتُ، عادت مرةً أخرى والتأمت، فقال: يا أرض خذيه فإنشقت، قال : تبت يا إبن الخالة! تنشق الأرض بأمر موسى ثم تلتئم عندما تسمع كلمة توبة من عبد آبق يحارب أنبياء الله ورسل الله!! سبعين مرة يتكرر الأمر من موسى،وتتكرر التوبة من قارون والأرض تنشق وترجع ولا تبتلعه! وبعد السبعين إنشقت الأرض وإبتلعته!! فعاتب الرحمن الرحيم موسى وقال : يا موسى يستغيث بك سبعين مرة فلا تغثه، وعزّتى وجلالى لو إستغاث بى مرةً واحدةً لأغثته .!!!!

سمّى نفسه من أجلكم الرحمن الرحيم، ولم يقل لك قل : باسم الجبار أو المنتقم او القهار، لكن قل : { بسم الله الرحمن الرحيم } .

وقال منبّئاً عن سـعة رحمته ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (137الأعراف) كل شـيء فى السـماوات أو فى الأرض فى الدنيا أو فى الآخرة وسـعته رحمة الله جلّ فى عُلاه ... على أن يعترف العبد بذنبه، ويرجع تائباً إلى ربّه ولا يصّر على المعاصى .. المُهّم أن العبد كلما أذنب ذنباً يعلم أنه له ربّـاً يغفر الذنوب جميعاً فيُـرجع الأمر إليه فيغفر الله له، وأعظم أبواب الرحمة كما أخبر الحبيب المحبوب قد أدخرها الله لعباده يوم لقائة كما قال:

﴿ إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، قَسَمَ مِنْهَا رَحْمَةً بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا فَوَسِعَتْهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ، وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ لأَوْلِيَائِهِ، وَإِنَّ اللهَ عَجَلَ قَابِضٌ تِلْكَ الرَّحْمَةَ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَى تِسْعٍ وَتِسْعِينَ فَكَمَّلَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ لأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [151]

ولما كان الموت هو أول منازل القيامة لقوله ﷺ لأصحابه ومن بعدهم:

﴿ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ﴾ [152]

فأحبُّ هنا أن وفى نهاية تللك الخاتمة أن أتناول معكم باختصـار أوجه رحمة الله بالمؤمنين عند الموت، وقبسـاً من أحوال الناس عند لقائه، على أن نحرص على تذكُّر الموت لتليين القلب وتقصـير الآمال الفانية وتحمّل المشاق.

---

151 صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، إنما اتفقا فيه على حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، وسليمان التيمي عن أبي عثمان، عن سلمان مختصراً، ثم أخرجه مسلم من حديث عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة، المستدرك على الصحيحين

152 ابن لاَل في مكارِمِ الأَخْلاق عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ ، جامع المسانيد والمراسيل

أحوال الناس عند الموت

ونحن نتحدث عن الرحمة وأن الله أجل ليوم القيامة لأهل الإيمان تسـعة وتسـعين جزءاً، وأن من مات قامت قيامته ولم يبق من أهل الدنيا .. فهل يعقل أن يقابل الله أحبابه الذين أعدت لهم هذه الأضعاف المضاعفة من الرحمات! ويستقبلهم على شوق بعد العناء والتعب والصبر ومكابدة الصلوات والصبر عن الممنوعات! هل يعقل أن يقابلهم لإى أول مراحل الطريق بما نسمعه كثيراً عن الموت وأن للموت سـكرات وأن لحظة الموت فيها ضـيق وصـعق وعذاب !! هذا ليس فى حق أهل الإيمان أبداً، هو نعم صـحيح وحق ولكن بالنسـبة للكافرين والمشـركين والجاحدين فالذين يتوفوهم الملائكة على كفرهم وشركهم !! أومن ظلموا أنفسهم بتفريطهم وإرتكابهم الجرائم والكبائر المغلظات وماتوا بلا توبة ,امثال هؤلاء الكافرين والمجرمين الجبارين عند موتهم يقول فيه النبي الصـــادق الأمين ﷺ:

﴿ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ﴾ 153

وسود الثياب ورائحتهم منتنة يقفون منه مد البصر ويقولون له مستهزئين أبشر بشّر يوم مر عليك منذ ولدتك أمك! منهم من يضربونهم ومنه من يعاتبونهم ومنهم من يوبخونهم ومنهم ومنهم إلى مالا نهاية!!

أما المؤمنون الذين أحســـنوا الظن بالله فأحســـنوا العمل ومات على قول حبيبهم الذى نصحهم وحببهم وشوقهم إلى لقاء ربهم بقوله ﷺ:

﴿ لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ 154

فهؤلاء إن كانوا من أهل اليمين أو عباد الله المقربين فللموت طعم آخر عندهم رسمه كتاب ربِّ العالمين ووضحه النبى الأمين ﷺ فى أحاديثه:

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89) ﴾

[الواقعة]

153 رواه الإمام أحمد عن البراء.
154 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ صحيح مسلم

إذا كان العبد من السابقين والمسابقين إلى طاعة الله وإلى التنافس فى فعل الخيرات وحفظه الله وحفظ نفسه من المعاصى والذنوب والسيئات؛ فإن الذي يتوفاه هو رب العزة ﷻ بنفسه! فلا يكل أمره ولا إلى الملائكة المقربين ولذلك سيد الأولين والآخرين يدعو سائلاً مولاه طالباً تحقيق مناه:

﴿ وتولَّ قبض روحى بيمناك مع شـدة الشـوق إلى لقائك يا رحمن ﴾ ، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [42،الزمر]

والأنفس جمع قلة – قلة من الناس وهم المقربون والذي يتوفاهم هو رب العزة ﷻ، إذ يَهُب عليهم من حضرة الله ﷻ من نسيم العرش ريح باردة طيبة فتستنشقها الأرواح فتهيم شوقاً إلى لقاء الكريم الفتاح، فإذا جاءت الملائكة قالوا كما كان يقول أصحاب حضرة النبي: **"مرحبا بالموت، حبيب جاء على فاقة"** وذلك لما يرون من حسن حالهم وما لهم عند ربهم ﷻ:﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ [الواقعة].

إن كان من أصحاب اليمين الذين يعملون الأعمال الصالحة ولكنهم يشتغلون بالدنيا وبأمورها على شرع الله وعملاً بما أمر به الله وكان عليه حبيبه ومصطفاه فقد علم الله ﷻ أن هؤلاء لشدة تعلقهم بالعمل الصالح يودون أن تطول الآجال ليستزيدوا من الأعمال الصالحة فيطلعهم الله ﷻ فى تلك الساعة وذلك الحين على مقعدهم فى جنة النعيم الذي جهزه له الله من حوره، قصوره، أنهاره، بساتينه وكل ما جهزه الله له فى جنة النعيم يراه بعين البقاء لا بعين الفناء لأن الله يقول له كما قال فى خير كتب السماء: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢ ﴾ [ق]

فيرى بالبصر الذي أعطاه له الله ما أعده الله له فى جنة النعيم فيحب لقاء الله لأن الله ﷻ يحب لقاءه ثم يأمر الله ﷻ كما بين الحبيب فى حديثه الصحيح الذي رواه البراء بن عازب ﷺ :

﴿ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ حَتَّى يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى (ملك) مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى (يَنْتَهُون) بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَسْتَقْبِلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى (يَنْتَهِي) بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾

كيف يكون الموت بالنسبة لهذا الشخص؟

كلمة يقولها ملائكة الله تخرج الروح على إثرها بإذن الله – يقولون: "يا أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى روح وريحان ورب راضٍ عنك غير غضبان" وبمجرد ترديدهم لهذا القول تخرج الروح – كيف يكون خروجها؟ لا عناء ولا شقاء ولا تعب ولا هم ولا غم يقول ﷺ فى وصف خروجها: {فتخرج كما تنزل قطرة الماء من في السقاء} عندما تنزل قطرة ماء من أى شيء تشرب منه – هل يكون فى نزولها مشقة أو عنت أو إرهاق؟ كلا وألف كلا، كذلك خروج هذه الروح الطيبة المؤمنة بأمر الله عندما يخبرها ملائكة الله ويطلبون منها أن تخرج فيقولون له: {أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك} فيأخذون الروح ويضعونها فى حريرة خضراء من الجنة ويضعون عليها أى عطر الجنة، ويتقاذفونها بينهم حتى تصل إلى أبواب السماء فيجدونها مفتحة لهم وينتشر عطرها وأريجها فى كل السموات فيتساءل أهل السموات، ما هذه الريح الطيبة؟ فَيُجَابون هذه روح فلان بن فلان دعيت للقاء الله فأجابت فيقولون مرحباً بالروح الطيبة فإذا وصلت الروح إلى سدرة المنتهى يقول الله ﷻ لملائكته الكرام:

﴿ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ فيأتيه من روحها وطيبها وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ﴾ [155]

فيهبطون بالروح بعد أن نكون جهزنا الجسد ووضعنها فى مستقره الأخير وتلمس الروح الجسد بإذن الله ويربت الملائكة عليه ويقولون له كما قال الذي لا ينطق عن الهوى:

﴿ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ﴾ [156]

وبمجرد أن يفارقه الملائكة ويفترق مشيعوه من على المقابر إذا به يجد شخصاً جميل الطلعة بهي الصورة يأتى ويقول السلام عليك يا فلان، فيقول: من أنت ومن الذي أرسلك إليَّ؟ .. فيقول: أوما تعرفني؟ يقول: لا .. يقول: أنا عملك الصالح وأنا معك هنا إلى يوم القيامة..

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل]

وقد ورد أن فاطمة بنت عبد الملك زوجة سيدنا عمر بن عبدالعزيز ﷺ قالت كنت أسمع عمَر في مرض موته يقول : اللّهم أخف عليهم أمري ولو ساعة من نهار، فقلت له يوماً : يا أمير المؤمنين ألاَ أخرج عنك عسى أن تغفو شيئاً، فإنك لم تنم، ثم خرجت، فجعلت أسمعه يقول : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) مراراً، ثم سكت لا يُسمع صوته، فقلت لوصيفه : ويحك! انظر، فلمّا دخل صاح، فدخلت عليه فوجدته ميتاً، قد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه، وروى أنهم قالوا بينا نحن نسوي التراب على قبره ﷺ إذ سقط علينا رق من السماء فيه كتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار. ، وقال نور الدين السهروردى ﷺ وهو يجود بنفسه وقد رأى الفضل [157]

قُل لأَصحاب رأوني مَيتاً   فَبَكوني إذ رأوني حُزنا
لا تَظُنوني بِأَني مَيت   لَيسَ ذا المَيت وَاللَه أَنا
أَنا عَصفور وَهَذا قَفَصي   طرت مِنهُ فَتَخلى رَهنا
وَأَنا اليوم أُناجي مَلأً   وَأَرى اللهَ عَياناً بهنا

155 رواه الإمام أحمد عن البراء بن عازب.
156 سنن الترمذي وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة.
157 قصة عمر فى حلية الأولياء ، وشعر السهروردى فى السهروردى المقتول.

﴿ فأما إن كان من المقربين ﴿٨٨﴾ فروح وريحان وجنت نعيم ﴿٨٩﴾ وأما إن كان من أصحب اليمين ﴿٩٠﴾ فسلم لك من أصحب اليمين ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة]

قال رب العزة ﷻ فى حديثه القدسي:

﴿ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ﴾ [158]

﴿ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ﴾ [159]

إكرام الله للمؤمنين عند الموت

من إكرام الله ﷻ لعباده المؤمنين فى لحظات مفارقة الدنيا للقاء رب العالمين أن الله ﷻ يهيئ لعبده المؤمن أموراً ينال بها الإكرام، فيقبضه فى زمن فضل أو وقت تنزل أو عقب أداء عبادة، أو تلبس بتوبة مقبولة أو بعمل بر صادق، و وقد فصلنا ذلك فيما سبق من الفصول فى حديثنا عن شهداء الأمة ومن يحصدون رتبة الشهادة يوم العرض! وقلنا أنه قل من يموت فى هذه الأمة على غير درجة الشهادة التى وسعها حبيب الله الذى وعده مولاه ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى]

ومن إكرام الله للمؤمنين عند الموت أنه يميت الكثيرين أو أغلبهم وقد استحقوا عنده بفضله وتوفيقه أن يكونوا من أصحاب ظل العرش أو منابر النور وأعمدة السرور! واستحقوا شربة الهناء من كوثر سيد الأنبياء!

وفوق كل ذلك فكل الأموات من أمة رسول الله ﷺ قيض الله ﷻ لهم جماعة من المؤمنين يصلون عليهم والصلاة شفاعة وقد أوردنا الأحاديث فى ذلك فمن أمة أو أربعين إلى ثلاثة صفوف حتى ولو كان واحد فى الصف فعندما نصلى عليه نشفع ونشهد له بالصلاح لأننا هكذا رأيناه، ونطلب من الله أن يغفر له ويرحمه ويتجاوز عنه تجاوز الله عنه وغفر لنا معه.

158 رواه الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها.
159 رواه البخارى وأحمد والترمذي عن عائشة رضى الله عنها.

فما دمنا قد رأينا الرجل يصـــلي معنا فرائض الله فى بيت الله فعلينا أن نشـــهد له عند الله بالصلاح فقد كانت الجنازة تمر فيشهدون لها بالصلاح أو عكس ذلك فيخبرهم الصادق المصدوق أن الله صـدق على شـهاداتهم وأنزل صـاحب الجنازة حيث شـهدوا له إما خيرا وإما غير ذلك!! ثم يكرمنا الله ﷻ من أجل هذا العمل لأن الله لا يُضيع لنا عملاً ويثيبنا الأجر العظيم:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف]

فإذا صـــلينا على الميت كتب لنا قيراط فى الجنة، وهو كجبل أحد، والذي يشـــهد دفنه قيراطان، ومن يذهب معه ويشيعه له كما أخبر الحبيب:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ مَا يُتْحَفُ بِهِ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ابْشِرْ فَقَدْ غُفِرَ لِمَنْ تَبِعَ جَنَازَتَكَ ﴾ [160]

فبشرى بفضل الله على المؤمنين أحياء وميتين والمؤمنون والمؤمنات بعضهم ينفع بعض، الميت يا هناه بما يفعله معه الأحياء من المؤمنين والمؤمنون يا هناهم بالأجر الذي يعطيه لهم مولاهم من أجل واجب يجب عليهم أن يفعلوه نحو هذا الميت المؤمن الذي كان يعايشوه.

بشرى الختام

وأختم كتابى لكم ببشـــرى البشـــريات التى تســـتطيع أن تنال منها ما لا يعد من الحســـنات بقولك "اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات! أو بقولك"آمين" لدعاء خطيب الجمعة فى آخرها ! لأن الله ﷻ أمرنا على لسان حبيبه أن نستغفر للمؤمنين وللمؤمنات ... والبشرى هى قوله ﷺ:

﴿ مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً ﴾ وقال ﴿ مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ وَيُرْزَقُ بِهِمْ أَهْلُ الأَرْضِ ﴾ [161]

160 ابن أبي الدُّنيا عن أبي عاصم الحبطي رضيَ اللَّهُ عنهُ
161 الأول رواه الطبرانى وإسناده جيد.، والثانى (طب) عن أبي الدرداء، الفتح الكبير

كل هذا لأنك استغفرت لهم! فلما عجب الناس للفضل، أكدَّه ﷺ:

﴿ من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ردَّ الله ﷻ عليه من آدم فما دونه ﴾ وفى رواية ﴿ من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ردَّ الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة – أى كتب له بعددهم ﴾ [162]

حسنات بعدد كل المؤمنين بقول آمين للخطيب أو بالدعاء للميت:

﴿ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ ﴾ [163]

(إنتهى بحمد الله)

---

162 حديث آدم فى أمالي (ابن بشران)عن أنس ، والثانى فى تخريج أحاديث الإحياء العراقي عن أنس أيضاً
163 حاشية الجمل وكثير غيرها

ترجمة المؤلف

ترجمة المؤلف العارف بالله تعالى الشيخ فوزى محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد سماحة العارف بالله الشـــيخ فوزى محمد ابوزيد ﷺ فى الثامن عشـر من شـهر أكتوبر1948م ،الموافق للخامس عشـر من ذى الحجة 1367هـــ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليســـانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة 1970م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة 2009م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم 224 ومقرها الرئيسى 114 شارع 105 حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

بالإضــافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإســلام، وله الكثير من التســجيلات الصــوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضـــا مـن خـلال مـوقـعـه عـلـى شـــبـكـة المـعـلـومـات الـدولـيـة الإنـترنـت WWW.Fawzyabuzeid.com والذى تم افتتاحه بعد التطوير وأصبح أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت.

۞ دعـــوته: 1- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصـف الإسـلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

2- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسـهم وتصفية قلوبهم. 3- يعمل على تنقية التصـوف مما شـابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصـوف السـلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة المؤلفات

✿ قائمة مؤلفات الشيخ ﷺ أولا : من أعلام الصوفية

1- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(2ط) 2- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.، 3- المربى الربانى السيد أحمد البدوى.4- شيخ الأسلام السيد إبراهيم الدسوقى.، 5- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : الدين والحياة

6و7- نفحات من نور القرآن ج1و2. 8- مائدة المسلم بين الدين و العلم. 9- نور الجواب على أسئلة الشباب. 10- فتاوى جامعة للشباب. 11- مفاتح الفرج (7ط) (ترجم للأندونسية).12- تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم للإنجليزية والأندونسية). 13- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام.14- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية).15-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (يترجم للأندونيسية).16- المؤمنات القانتات 17- فتاوى جامعة للنساء. 18- قضايا الشباب المعاصر. 19- زاد الحاج و المعتمر (2ط)

الخطب الإلهامية: مج1: المناسبات الدينية :2ط مجزأة ومجلد

20- ج1: المولد النبوى. 21- ج2: الإسراء و المعراج. 22- ج3 : شهر شعبان و ليلة الغفران، 23-ج4: شهر رمضان و عيد الفطر المبارك. 24- ج5 : الحج و عيد الأضحى المبارك. 25- ج6 : الهجرة و يوم عاشوراء. 26- الخطب الإلهامية :مج1:المناسبات الدينية ط2،كتاب واحد

ثالثا : الحقيقة المحمدية

27- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (3ط). 28- الرحمة المهداة. 29-30 إشراقات الإسراء: ج1(2ط)، ج2. 31- الكمالات المحمدية 32- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول (ترجمE).33-السراج المنير.

رابعا : الطريق إلى الله

34- أذكار الأبرار. 35- المجاهدة للصفاء و المشاهدة. 36- علامات التوفيق لأهل التحقيق. 37- رسالة الصالحين. 38- مراقى الصالحين. 39- طريق المحبوبين و أذواقهم. 40- كيف تكون داعياً على بصيرة. 41- نيل التهانى بالورد القرآنى.42- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للإمام القاوقجى (تحقيق).، 43- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية).44- نوافل المقربين.

خامسا: دراسات صوفية معاصرة

45- الصوفية و الحياة المعاصرة. 46- الصفاء والأصفياء. 47- أبواب القرب و منازل التقريب.، 48- الصوفية فى القرآن والسنة (2ط) (ترجم للإنجليزية). 49- المنهج الصوفى والحياة العصرية. 50- الولاية والأولياء. 51- موازين الصادقين. 52- الفتح العرفانى. 53- النفس وصفها وتزكيتها. 54- سياحة العارفين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور

55- مختصر مفاتح الفرج (3ط). 56- أذكار الأبرار (2ط). 57- أوراد الأخيار (تخريج وشرح). (2ط)، 58- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (2ط). 59- بشائر المؤمن عند الموت. 60 - أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام، 61- مختصر زاد الحاج والمعتمر. 62- بشريات المؤمن فى الآخرة.

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

1 - منهاج الواصلين، 2-نسمات القرب، 3- أحسن القول، 4- طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين (ط2)، 5- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (ط2)، 6- حقائق التصوُّف النَقيّ.

تطلب جميع المؤلفات من المكتبات الكبرى بالقاهرة والأقاليم، ودور توزيع الأهرام والأخبار ودار الشعب ودار المعارف والهيئة المصرية العامة للكتاب، كما يمكن تنزيل الكتب من WWW.askzad.com، أو تطلب من الناشر: دار الإيمان والحياة، 114 ش 105 المعادي بالقاهرة، ت: ********************************

مفتاح اختصار أسماء مراجع الحديث

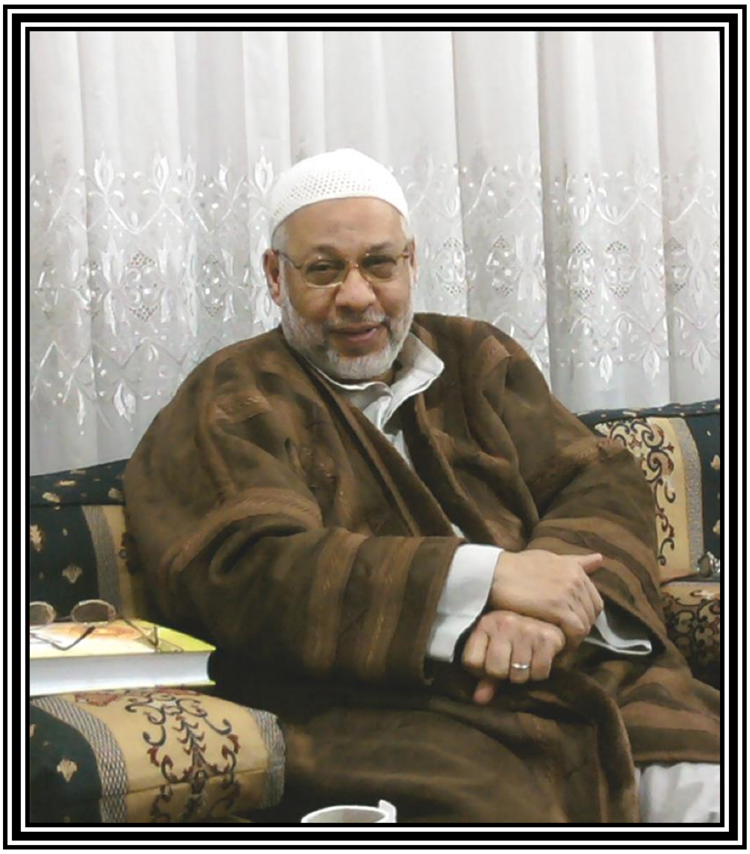
مفتاح إختصار أسماء كتب تخريج الحديث النبوى الشريف
كما ورد بالجامع الصغير نقلاً عن كنز العمال

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (ه) لابن ماجة، (4) لهؤلاء الأربعة، (3) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).

محتويات الكتاب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

سماحة العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد رضي الله عنه




من مكتبة العارف بالله تعالى
الشيخ فوزى محمد أبوزيد
سلسلة
شفاء الصدور
دار الإيمان والحياة ١١٤ ش ١٠٥ المعادى - ت : ٢٥٢٥٢١٤٠ القاهـرة
القائمة الكاملة لمؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبو زيد بداخل الكتاب